الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

صور الحزن والألم في رثاء الخنساء لأخيها صخر

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب قديم

إعداد الطالبتين :

*ـ قابور فيروز

* ـ بوحنة صفية

إشراف الأستاذ :

د . مودع سليمان

السنة الجامعية: **2017/2016**

دعاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا وإذا أعطيتنا علما فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

ربنا تقبل منّا الدعاء

آمين

شكر وتقدير

يجدر بنا بادئ ذي بدء وفاء وتقديرا وعرفانا ، أن نتقدم بالشكر إلى اللّٰهُ عن وجل أولاً ، ثم إلى أستاذنا الفاضل الدكتور "مودع سليمان " حفظه اللّٰهُ ببالغ شكرنا وعظيم امتناننا على ما بذله من جهد ومتابعة في سبيل إنتاج هذا العمل كما نتقدم بالشكر والإمتنان إلى جميع الأساتذة في قسم الأدب العربي بالمركز الجامعي لميلة على ما بذلوه من جهد وعطاء وافر في سبيل تعليمنا .

كما نتقدم بالشكر والإمتنان إلى كل من كان لنا عونًا وسندًا لإتمام هذا البحث راجيات من اللّٰهُ أن يجزيهم خير ما يجزي به عباده إنه نعم المولى، ونعم النّصير وصلى اللّٰهُ على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

فيروز وصفية

إهداء

الحمد لله الذي وفقني إلى هذا وبفضله عز وجل تمكنت من إنجاز هذا العمل الذي أهدي ثمار جهدي ونجاحي إلى منبع حناني وقرة عيني

أبي العزيز " الربيع "

إلى منبع في أحضانها ترعرعت والتي دعمتني بأطيب العبارات والدعوات

والدتي العزيزة " سكينة "

إلى إخوتي الأعزاء: مفيدة وعمار وهيبة وعماد وياسر .

كما لا أنسى جميع الصديقات في الإقامة الجامعية وخارجها .

فيروز

إهداء

إلى التي رآني قلبها قبل أن تراني عينها وكانت نعم الأم والصديقة في أوقات السعادة والضيق إليك أمي العزيزة " رقية "

إلى من يتعب ويشقى لإسعادي وتدريسي وعلمني أن العلم من الإيمان وأن الصبر ضياء إليك أبي العزيز " محمد "

إلى من كانوا ولا زالوا لي إخوانا وسندا : صلاح الدين وزوجته سمية وابنته سيرين وأخي خالد وأختي حفصة وعائشة وابنها إياد وزينب وولديها رمزي وإسلام

إلى شريكتي في هذا العمل " فيروز "

وإلى كل صديقات ورفيقات عمري

صفية

مُقَدِّمَةٌ

ـ مقدمة :

نشأ الشعر الجاهلي وترعرع في البوادي ، إذ كانت البادية هي المدرسة التي نشأ فيها الشعر والشعراء ، باعتبارها مسقط الوعي الشعري فترهف الحس وتذكّي الفؤاد وللشعر فيها مقام رفيع ، فهو الترجمان عن أحاسيس النفس ، وهو لسان القبيلة وسجل أخبارها فعبر عن أحداث حياة العرب ، وتقاليدهم ومعاركهم المشهورة وأماكن معيشتهم و أسماء فرسانهم .

فالأمة العربية تحمل في تاريخها تراثا شعريا ضخما ، ومنه المراثي التي تميزت بصدق اللوعة وحرارة العاطفة ، خاصة تلك التي تقوم على رابطة القربى فكلما ازدادت القرابة بين الشاعر والمرثي ازداد الرثاء حزنا وتفجعا وألما ، خاصة أن الحزن والألم شعوران فطريان في الإنسان منذ ولادته حتى وفاته ، تمكن من خلالهما الشاعر أن يعبر عن مكبوتاته وتعد الخنساء من النساء الشاعرات اللاتي برعن في هذا الميدان وأجادت فيه حتى طغى على أغراضها الشعرية الأخرى ، وهذا متأت من طبيعة المرأة الوجدانية بوصفها أكثر ميلا للحزن والبكاء والأسى والإحساس بالألم ، فقد كانت شاعرة الرثاء بامتياز لفقدها أعز الناس إليها وعبّرت عن ذلك بأشعار صادقة العواطف والأحاسيس حاولت فيها أن تقدم صورًا نابضة بالألم معبرة عن حرقة الفراق والفقد أثّرت في كل من يطالعها .

وهذا ما جعلنا نختار موضوع بحثنا وعنوانه هو " صور الحزن والألم في رثاء الخنساء لأخيها صخر ". وقد فضّلنا رثاء الخنساء ، لأنّ شعر الرثاء يتميز بالصدق وعفوية الآداء والنبرة الحزينة والمشاعر الجياشة ، فمن خلاله يبرز الشاعر آلامه النفسية ، ويصوّر لنا المرثي بذكر مناقبه وجميل خصاله وبالبكاء الحار عليه والخنساء من أبرز الشاعرات اللواتي أظهرن التفوق والرقي ، فجسّدت شاعريتها الخصبة بتصوير تجربتها الذاتية في حلّة متميزة أبرزت فيها صورة الحزن والألم التي كانت وليدة عواطفها الداخلية ، فانعكست على رثائها آثار الصدمة النفسية التي تعانيها إثر فقدان أخيها .

فقد أثرنا في موضوع بحثنا جملة من الإشكاليات الفرعية وهي:

ما الصورة الشعرية ؟ وما هو الحزن والألم ؟ ما هي أسباب ومظاهر ودرجات الحزن والألم؟ ما موقف الدين والعرف منهما ؟ من هي الخنساء ؟ وما مكانة صخر في وجدانها ؟ وأين تتجلى

صور الحزن والألم في رثائها ؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسّمنا بحثنا إلى : مقدمة مهدنا فيها للموضوع وفصّلنا البحث في فصلين وأنهيناه خاتمة وملحق .

خصّصنا الفصل الأول للبحث في مصطلحي الحزن والألم أين تضمنا العناصر التالية :

- تعريف الصورة لغة واصطلاحا .
- تعريف الحزن والألم لغة واصطلاحا .
- أسباب الحزن والألم ومظاهر ذلك .
- صور الحزن والألم ومراتبهما .
- موقف الدين والعرف من الحزن والألم .

أمّا الفصل الثاني فقد تطرقنا فيه إلى :

- تجليات حزن وألم الخنساء (المظهري / النفسي) والتطرق إلى أشكاله ودرجاته .
- تجلياته الفنية : في الألفاظ وفي الصور (الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية)

في الموسيقى (البنية الصوتية ، الصرفية ، النحوية الدلالية)

وفي الخاتمة ذكرنا حوصلة لاستنتاجات توصلنا إليها في بحثنا هذا ، والملحق الذي اقتصرنا فيه التعريف بالشاعرة (الخنساء) وتقديم نبذة عن حياتها .

وقد استعنا في ذلك بالمنهج النفسي كونه الأنسب لدراستنا فعالجنا نفسية الخنساء وما نتج عن ذلك من حزن وألم إثر فقدان أخيها ، بالإضافة إلى المنهج السيميائي في رصد العلامة ، معتمدين فيه على قائمة من المصادر والمراجع أهمها:

- ديوان الخنساء للخنساء .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب لجابر عصفور .
- الحزن والإكتئاب على ضوء الكتاب والسنة لعبد الله الخاطر .
- الألم النفسي والعضوي لعادل صادق .
- التحليل النفسي للأدب لعز الدين إسماعيل .
- علم النفس ، معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة لسميح عاطف الزين .

كما واجهتنا صعوبات إلاّ أنّنا تمكنا من تخطيها بالمثابرة والإجتهاد .

وأخيرًا نتوجه بالشكر الجزيل للدكتور الفاضل الأستاذ المشرف " مودع سليمان " الذي ساعدنا ووجّهنا بمختلف المعارف والمعلومات والنصائح الثمينة في إنجاز مذكرة تخرجنا ونشكر لجنة المناقشة على تفضلها بقراءة الموضوع وسنعمل بكل توجيهاتها وملاحظاتها .

***

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

1- تعريف الصورة

2 - تعريف الحزن

3- تعريف الألم

4 - أسباب الحزن والألم

5- مظاهر الحزن والألم

6- صور الحزن والألم

7- درجات الحزن والألم

8- موقف الدين من الحزن والألم

9- موقف العرف من الحزن والألم

1 ـ تعريف الصورة :

تحتل الصورة مكانة بارزة ومهمة في الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية قديمها وحديثها ، فقد تعددت مفاهيمها اللغوية والإصطلاحية .

1 ـ 1 ـ لغة :

معلوم أن الصورة هي الشيء المتصور في الذهن ، فهي ترجمة لتلك التصاوير التي تظهر لنا في شكل تماثيل ، والصورة في لسان العرب : " الصورة في الشكل والجمع صَورٌ وصِور وصُورٌ وقد صوَّره فتصور ، وتصورت الشيء : توهمت صورته فتصوّر لي والتصاوير التماثيل "[1] .

فالصورة لم يقتصر معناها على التماثيل فقط وإنما جاءت أيضا بمعنى الصفة وهذا ما ورد في المصباح المنير : " صور : (الصورة)التمثال وجمعها صور مثل غرفة وغرف وتصورت الشيء مثلت صورته وشكله في الذهن فتصور هو ، وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة كقولهم : صورة الأمر كذا أي صفته ومنه قولهم : صورة المسألة كذا أي صفتها "[2]. وهذا يعني أن لكل شيء صفة تقابله ، ولكل مخلوق هيئة قد خلقه الله تعالى عليها ومن ذلك " الصورة صورة كل مخلوق ، والجمع صور وهي هيئة خلقته والله تعالى البارئ المصور ويقال : رجل صيّر إذا كان جميل الصورة"[3] . وهذا مصداقا لقوله تعالى ﴿ فِي أيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾{ الإنفطار |08 } .

فالصورة إذن تدل على صفة الشيء كما تدل أيضا على هيئته " يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته "[4] .

إضافة إلى هذا فإن تجسيد صورة الشيء أو الشخص يتم بمواد مختلفة من خلال الرسم على الورق والحائط بالقلم ،أو أخذ صور له بآلة التصوير بغرض الكشف عن كل تفاصيله وهذا ما ورد في المعجم الوجيز : "صوره جعل له صورة مجسمة وصورة الشيء أو الشخص رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما بالقلم أو بآلة التصوير، وصوّر الأمر وصفه وصفا يكشف عن جزئياته ، تصور: تكونت له صورة وشكل ، والتصوير في علم النفس: استحضار

(1) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين مكرم) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، المجلد 4 ، باب الصاد ، مادة صور .

(2) أحمد بن محمد بن علي الفيومي : المصباح المنير ، دار المعارف ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، باب الصاد ، مادة صور .

(3) ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا) : معجم مقاييس اللغة ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (د ،ط) ، 1339 ه ـ 1979 م ، ج3 ، باب الصاد ، مادة صور .

(4) ابن منظور : لسان العرب ، باب الصاد ، مادة صور .

صورة شيء محسوس في العقل دون التصرف فيه . والتصوير : رسم صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط أو نحوهما "[1] .

مما سبق نخلص إلى أن الصورة تدل على معاني كالهيئة والشكل والصفة يصورها الشخص في ذهنه ويجسدها بمواد التصوير فتتجلى في شكل تماثيل تعكس تلك الصورة الموجودة في الذهن .

1 - 2 - اصطلاحا :

إن الأدب من دون صورة وتصوير ، لا يعدو أن يكون سوى ضرب من الكلام الذي ألف الناس قوله أثناء علاقاتهم التواصلية ، لذا فالصورة في الأدب " لا تتأسس إلا بالكلمة وهي مادتها ولونها وأداة رسمها أيضا "[2] وهي بذلك تنقسم إلى قسمين : صورة محسوسة يعرفها الإنسان والحيوان والخاصة والعامة ، أو تكون عقلية يختص بها الإنسان وحده فهي" ما ينقش به الأعيان ويتميز بها غيرها ، وذلك ضربان أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة ، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس بالمعاينة والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية والمعاني التي خصّ بها الشيء بشيء و إلى الصورتين أشار بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ﴾ { آل عمران | 06 } "[3].

والصورة أيضا وسيلة للخيال والمادة الخام التي من خلالها يبرز المبدع تأثيره وفاعليته وأعماله الإبداعية وهذا ما يوضحه جابر عصفور بقوله :" الصورة هي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه " [4].

فهي تلك الألفاظ والعبارات التي يصوغها الشاعر في قالب فني بناءا على أسلوبه ولغته معبرا عمّا يجول في قريحته ويتجلى ذلك في قول عبد القادر القط :" الصورة في الشعرهي التشكيل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في

(1) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، الناشر مجمع اللغة العربية ، (د، ط) ، 1889 م ، باب الصاد ، مادة صاره.

(2) سليمان مودع : صور الرهبة في شعر النابغة الذبياني ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013 م ، العدد 32 ، ص 302 .

(3) الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد) : المفردات في غريب القرآن ، مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ج1 ، ص 379 .

(4)جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1992 م ، ص 343 .

الدلالة والتركيب والإيقاع وغيرها من وسائل التعبير الفني ، أو يرسم بها صورة شعرية " [1] .

في حين يراها الجاحظ بأنها :" ضرب من النسيج وجنس من التصوير"[2] . إذ لا يمكن تصور الشعور والصورة منفصلين عن بعضهما البعض ، لأننا لا نستطيع أن نعبر عن مشاعرنا وأفكارنا إلا إذا أخرجناهما في صورة خاصة ، لهذا نجد لها علاقة بالشعور لأن " الشعور ليس شيئا يضاف إلى الصور الحسية و إنما الشعور هو الصورة ؛ أي أنها الشعور المستقر في الذاكرة ، الذي يرتبط في سرية بمشاعر أخرى ويعدل منها وعندما تخرج هذه المشاعر إلى الضوء ونبحث عن جسم فإنها تأخذ مظهر الصور في الشعر أو الرسم أو النحت "[3] .

والصورة هي وسيلة المبدع " التي تنشأ من العمليات الإدراكية والحسية ، ومصدرها السمع والبصر واللمس والشم والذوق لأنها في الواقع هي نافذة الروح على العالم "[4] . فهي الأداة التي يعبر بها عما يدور في مخيلته من أفكار يصوغها في قالب فني يبرز من خلالها إبداعه وفاعليته ، كونها تساهم في عملية إقناع المتلقي والتأثير فيه عن طريق توضيح المعنى .

***

(1)عبد القادر القط : الإتجاه الوجداني في الشعر العربي ، مكتبة الشباب للنشر ، (د ، ط) ، 1988 م ، ص 311 .

(2) الجاحظ : الحيوان ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1356 ه - 1938 م ، ج 2 ، ص 132 .

(3) عز الدين إسماعيل : التحليل النفسي للأدب ، دار العودة ، بيروت ، ط 4 ، 1981 م ، ص 71 .

(4) سليمان مودع : صور الرهبة في شعر النابغة الذبياني ، مرجع سابق ، ص 303 .

2 ـ تعريف الحزن :

معلوم أنّ الإنسان هو كائن إجتماعي يعيش في مجتمع به مشاكل وظروف خارجة عن إرادته ممَّا يجعله يتعرض لضغط نفسي فلا يشعر بالراحة والطمأنينة ممّا يؤدي به إلى محاولة تغيير أحواله وحين يعجز عن المقاومة أو التغيير يحزن .

2 ـ 1 ـ لغة :

إن الحزن حالة من الإنقباض النفسي والشعور بالغم والكآبة وفقدان السرور ولذة العيش فغم النفس أشبه بخشونة الأرض وهذا ما ورد في معجم مقاييس اللغة :"حزن: الحاء و الزاي والنون أصل واحد : وهو خشونة الشيء وشدة فيه وخشونة في الأرض لما يحصل الغم فكأنما يجعلها هذا الغم خشنة مثل الأرض "[1] ، فالحزن ضد الفرح وهو يؤدي إلى خشونة الصدر بوجود الغم قيل : " خشنت بصدره إذا حزنته ، يقال: حزن ، يحزن وحزنته وأحزنته قال الله عز وجل : ﴿ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ { آل عمران | 153 } وقوله : ﴿ الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ﴾ { فاطر | 34 }"[2] .

أما الحزن بالضم والكسر فقد جاء بمعنى الهم " الحزن بالضم ويحرّك : الهمّ(ج) أحزان حزن كفرح وتحزَّن و تحازَن و احتزن ، فهو حزنان و محزان و حزنه الأمر حزنا بالضم وأحزنه : جعله حزينا ... ، وحزن بكسر الزاي ، وضمها (ج) حزان و حزناء و عام الحزن هو العام الذي ماتت فيه خديجة رضي الله عنها و أبو طالب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحزن " [3]. فبما أن الحزن ضد الفرح فهو أيضا خلاف السرور " فالحزن نقيض الفرح وهو خلاف السرور (...) وحزنه أيضا مثل أسلكه وسلكه و(محزون) بني عليه وحزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم ، وفي الحديث أنه كان إذا حزنه أمر صلّ أي أوقعه في الحزن فيقول سيبويه : أحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا كأفتنه جعله فاتنا وفتنه جعل فيه فتنة "[4] .

(1)ابن فارس (أبو الحسين أحمد) : معجم مقاييس اللغة ، ج 2 ، باب الحاء ، مادة حزن .

(2)الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد) : المفردات في غريب القرآن ، مرجع سابق ، ص 151 .

(3)الفيروز آبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط 8 ، 1426 ه ـ 2005 م ، باب الحاء ، مادة الحزن .

(4)ابن منظور : لسان العرب ، المجلد 13 ، باب الحاء ، مادة حزن .

مما سبق نخلص إلى أن الحزن هو تلك الحالة النفسية التي يشعر بها الشخص عند تعرضه لموقف محزن يؤدي به إلى حالة من الإنقباض النفسي والشعور بالغم والكآبة وفقدان السرور ولذة العيش .

2 - 2 - اصطلاحا :

الحزن هو حالة انفعالية فطرية تصيب الإنسان ، فتشعره بمشاعر غير سارة فهو " أحد صور العاطفة والمشاعر الإنسانية الفطرية وهو ضد الفرح والسرور فالحزن والفرح موجودان في الإنسان وهما فطريان ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ { النجم | 43 } . وقوله تعالى عن آدم عندما أنزله من الجنة :﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْف عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ { البقرة | 38 }"[1].

فالله يبين في هذه الآيات أن من اتبع هداه فإنه لا يحزن ، كما أن الحزن ألم نفسي يوصف الشعور بالبؤس والعجز وهو شبيه بالهم والأسى والكآبة واليأس الذي ينتاب الشخص نتيجة تعرضه لشيء عكس ما تمناه إثر فقده لعزيز عليه فينعكس ذلك على حياته ، قال تعالى : " ﴿ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾{آل عمران | 153 } فهذا الشعور غالبا ما يلازم الإنسان الذي تحف به المكاره أو يواجه المتاعب فقد يأتي من فقدان عزيز أو خسارة شيء ذي قيمة كبيرة أو فشل في تحقيق أمر هام "[2] .

والحزن أيضا ينتج عن وقوع مكروه أو وفاة محبوب في الماضي فيؤثر عليه سلبا ويشعره بالوجع فهو " غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار يقول ابن القيم رحمه الله « الحزن توجع لفائت وتأسف على ممتنع ؛ أي إن ما يفوت الإنسان يكون مقدورا له ، وقد لا يكون فإن كان مقدورا توجع لفوته ، وإن كان غير مقدور تأسف لامتناعه» " [3].

فالحزن شيء فطري ينتاب كل البشر عندما تقابلهم متاعب الحياة الدنيا ولا أحد يستثني من ذلك والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم كحزن أم موسى وحزن الأنبياء ، وحزن يعقوب على يوسف عليهما السلام ومن الصحابة كحزن أبي بكر رضي الله عنه في حادثة الهجرة " يقول عكرمة - رحمه الله - « لَيْسَ أَحَد إِلاَّ وَهُوَ يَفْرَح وَيَحْزَن وَلَكِنْ اجْعَلُوا الفَرَح شُكْرًا

(1) عبد الله الخاطر : الحزن والإكتئاب على ضوء الكتاب والسنة ، راجعه عبد الرزاق بن محمد الحمد ، المنتدى الإسلامي ، الرياض ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 16 .
(2) سميح عاطف الزين : علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، (د ، ط) ، 1422 ه ، 1991 م ، المجلد 1 ، ص 180 .
(3) الحافظ بن أبي الدنيا : كتاب الهم والحزن ، تح مجدي فتحي السيد ، دار السلام ، الأزهر ، ط 1 ، 1412 ه - 1991 م ، ص 16 .

وَالحُزْنِ صَبْرًا .» " [1]. فالحزن يحصل لكل الناس لكنه قضية وقتية و إذا ما استمر وطال وقته صار اكتئابا .

كما تمثل الحزن أيضا في الشعر العربي القديم عند كثير من الشعراء كرثاء المهلهل لأخيه كليب ، ورثاء المتنبي لأخت سيف الدولة في قوله :

جَزَاكَ رَبّكَ بالأحْزَانِ مَغْفِرَةً ♦ فَحزْنُ كلّ أخِي حزْنٍ أخُوالغَضَبِ[2]

وكان أيضا للمعلقات نصيب من الحزن ، كقول امرئ القيس في معلقته :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ♦ بِسقْطِ اللّوَى بَينَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ[3]

مما سبق يمكن التوصل إلى أن الحزن هو شعور الإنسان بعدم الرضا نتيجة لمشاكل عدة يواجهها في حياته أو مواقف يتعرض لها سواء أكانت وقعت ضمن إرادته أو رغما عنه وهذه المواقف تترك أثرا في نفس صاحبها ، فتنضج الشاعرية لديه ويبوح بكل ما يختلج صدره من حزن و ألم .

***

(1) عبد الله الخاطر : الحزن والإكتئاب على ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص 18 .

(2) المتنبي : الديوان ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 2008 م ، ص 280 .

(3) امرؤ القيس : الديوان ، دار المعارف ، ط 4 ، 1984 م ، ص 8 .

3 ـ تعريف الألم:

يعيش الفرد داخل مجتمعه مجموعة من الإنفعالات أحسنها الفرح وأسوأها الألم الذي يصدر عن انفعالات نفسية ، كالكآبة والحزن أو جسمية كالإصابات الضارة .

3 ـ 1 ـ لغة :

إن الإنسان عندما يتعرض لمكروه ما فإنّه يشعر بالألم والوجع ، فقد ورد في لسان العرب أنّ" ألم : الألم : الوجع والجمع آلام ، وقد ألم الرجل يألم ألما : فهو ألم ويجمع الألم آلاما وتألم آلمته ، وقد آلمت فلانا ،وعذاب أليم أي مؤلم . والعذاب الأليم : الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ ، وإذا قلت عذاب أليم فهو بمعنى أليم " [1]. وجاء بهذا المعنى في معجم مختار الصحاح " ألم من باب طرب والتألم التوجع والإيلام الإيجاع . والأليم المؤلم الموجع مثل : السميع بمعنى المسمع "[2] . كما دلت لفظة " ألم" على الوجع والحزن والألم الشديد " فألم الشخص : وجع وحزن إننا نألم أشد الألم لما يصيب اخوتنا في فلسطين تلقي ألم الوفاة بألم شديد لقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُون ﴾ { النساء | 104 }"[3]

ودلّت لفظة ألم في معجم العين على الوجع ، وبهذا فإن هذا التعريف يتفق مع التعريفات السابقة " الألم بمعنى الوجع ، والمؤلم : الموجع والفعل ألم يألم ألما فهو ألم والمجاز آلم يؤلم إيلاما فهو مؤلم "[4] .

أمّا في معجم الكليات فالألم يدل على الوجع وهو ضد اللذة " فالألم إدراك المنافي من حيث هو مناف كما أن اللذة وإدراك الملائم من حيث هو ملائم ، وهذا لا يناسب فن البديع لأنّ اللذة حالة ندركها عند عروض المنافي لإدراكها ويدل عليها قولهم : (فلان يدرك اللذة والألم) والمناسب لفن البديع أن يقال :الألم الوجع واللذة ضدّه "[5]

إذن الألم هو الوجع الشديد الذي يصيب شخصا ما سواء كان داخليا متمثلا في الحزن أو خارجيا نتيجة تعرضه لمكروه .

(1) ابن منظور : لسان العرب ، المجلد 12 ، حرف الميم ، مادة ألم .

(2) الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، (د ، ط) ، 1989 م ، باب الهمزة ، مادة أ ل م .

(3) أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، علم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1429 ه ـ 2008 م ، المجلد 1 ، مادة أ ل م .

(4) الفراهيدي (الخليل بن أحمد) : معجم العين ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 1424 ه ـ 2003 م ، ج 1 ، باب الهمزة ، مادة ألم .

(5) الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني): الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 ، 1419 ه ـ 1998 م ، ص 174 .

3 - 2 - اصطلاحا :

إنّ الله جعل الألم من ضروريات الحياة لأنه معنى لها ، من خلاله يدرك الإنسان ظلالا مختلفة للحياة فيعرف قيمتها ؛ ذلك أنّ الألم يقوي النفس ، ويشجع الإنسان على الصبر والتحمل والتعلم من أخطاء حتى يستمر في مسيرته ، " والألم هو أحد الإمكانيات التي زود الله تعالى بها الإنسان لتستمر حياته على الأرض ويعمرها ؛ أي أنه يمكن اعتبار الألم من ضروريات الحياة كالماء والأكسجين والطعام ، وإذا رتبنا هذه الضروريات حسب أهميتها للحياة فإنّ الألم يأتي ترتيبه الرابع بعد الهواء والماء الطعام (...) فالألم هو الصرخة وهو الهزة ، وهو الإشارة الضوئية التي تومض وتنطفئ تباعا لينتبه الإنسان ويصرخ هو بدوره ألما "[1] .

فالألم إذن ، شعور أو انفعال مزعج ، ينتاب شخصا ما ، يشمل الإنفعالات النفسية كالكآبة والحزن الشديد ...الخ ، الذي يكون جراء فقدان شخص عزيز عليه فينعكس ذلك على نفسيته وكذلك الشأن بالنسبة للألم الجسماني الذي يتميز فيه الإحساس بالألم عن سائر الأحاسيس الأخرى " فهو شعور مزعج يطال إمّا الجسد أو النفس، وهو شيء خفي رغم أنّ نتائجه ظاهرة "[2] . فالألم الذي يتعرض له الإنسان سواء كان نفسيا أو جسديا ما هو إلاّ نتيجة الظروف والضغوط الإجتماعية التي يمر بها ، تاركا في داخله أثرا نفسيا يصل به إلى حد الحزن واليأس الشديدين " إنّه خبرة نفسية تجربة سيكلوجية ، تشمل على الإحساس بالمعاناة وترتبط بمتاعب الجسد وعذابه (...) والعذاب هو ما يصيب الجسد ، وما يصيب النفس من خبرات مؤلمة ، فالجسد الذي يتعذب هو جسد يعاني ألما ، والنفس التي تتعذب هي نفس تعاني ألما "[3] . فالألم إذن شعور بانزعاج حسي يتعرض من خلاله الشخص إلى إصابات وجروح أو الضيق المعنوي الذي يكون شاقا على صاحبه ، ويفقده الشعور باللذة وعذوبة الحياة فيجنح إلى التشاؤم .

ممّا سبق نخلص إلى أن الحزن والألم شعوران ينتابان الإنسان ، نتيجة تعرضه لظروف معينة ، تؤثر على حياته سلبا ، وتؤدي به إلى الإنطواء والبكاء والشعور باليأس والأسى .

(1) عادل صادق : الألم النفسي والعضوي ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط 1 ، 1984 م ، ص 218 ، 219 .

(2) نجاة علوان الكناني : بواعث الألم في شعر السياب ، مجلة دراسات البصرة ، العدد 12 ، السنة السابعة ، 2011 م ، ص 88 .

(3) عادل صادق : الألم النفسي والعضوي ، مرجع سابق ، ص 26 .

4 ـ أسباب الحزن والألم :

يعيش الإنسان في مجتمع محاطا بالناس ، ويتعامل معهم منذ ولادته حتى وفاته فهو أثناء رحلته في الحياة لا يمكن أن يتفاعل دون هذه الشبكة من العلاقات فالحزن والألم أحد المكونات الرئيسية لهذه الشبكة ، لأنهما يتداخلان في كل علاقاته سواء مع نفسه أو مع الناس وهذا راجع لأسباب سنتطرق إلى ذكرها .

4 ـ 1 ـ أسباب الحزن :

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة وجعل حياته أفراحا وأحزانا قد تكون من فعل العبد لنفسه أو من عند غيره ، فأسباب الحزن كثيرة من بينها :

قد يأتي الحزن " من فقدان عزيز ، أو خسارة شيء ذي قيمة كبيرة ، أو فشل في تحقيق أمر هام "[1] . بمعنى أن :

أ ـ فقدان شخص عزيز وخسارة شيء ذي قيمة كبيرة :

فوفاة شخص نحبه تجربة صعبة ولا يمكن تجنب مشاعر الحزن التي تصاحب هذه الخسارة ويكون الأمر صعبا بشكل خاص عندما يكون الموت مفاجئا أو غير متوقع ، ولا يكون هناك وقت للإستعداد ،ولا وقت للوداع ، فتشعر بالصدمة .

ب ـ الفشل في تحقيق أمر هام :

إن الفشل لا بد أن يقابل كل إنسان في حياته في أي مجال ، سواء في مجال حياته أو مجال عمله ، فالإنسان يسعى دائما إلى تحقيق غايته وما يطمح إليه بكل قوته وبكل عزيمة وإصرار ، فعندما يفشل في تحقيق ما يرمي إليه يصيبه حزن شديد قد يفقده الأمل .

ج ـ سوء الظن :

فالإنسان الذي يسيء الظن بالآخرين هو الذي يتضايق ومثال ذلك : " شخص مرّ على آخر فلم يسلم عليه ، فيبقى الآخر متضايقا حزينا متسائلا : لماذا لم يسلم علي ؟ لابد أنه يكرهني (...) ويبدأ يسيء الظن ممّا يؤدي به إلى حزن يوم أو يومين أو أكثر " [2].

(1) سميح عاطف الزين : كتاب علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة ، مرجع سابق ، ص 180 .

(2) عبد الله الخاطر : الحزن والإكتئاب على ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص 64 .

د ـ يحزن المرء لما يقع منافيا أو مخالفا لعقيدته وفكره :

فهو يحزن لما يحل بالمسلمين من مصائب وابتلاءات ، وذلك لحبه للمسلمين عقيدة وفكرا وهذا يكون" شديدا كلما زاد الإيمان في القلب ، ويكون قليلا كلما ضعف الإيمان ، لذا نجد أن أهل الإيمان والإحساس أشد حزنا على ضياع مقدسات الإسلام وديار المسلمين وما يصيبهم من بلاء من أهل الفسق والمعاصي ، من الذين ينتسبون إلى الإسلام "[1] .

كما وردت بعض الأسباب في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من بينها :

ه ـ الإحساس بالإهانة والذل :

مصداقا لقوله تعالى :﴿ وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ { يونس | 65 } .

و ـ كثرة الذنوب :

" عن عائشة رضي الله عنها ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ العَبْدِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَكفرُهَا ، ابْتَلاَهُ اللّه بِالحُزْنِ لِيُكَفِرهَا عَنْهُ» "[2] .

ي ـ الفقر :

" حدثني الحسين بن عبد الرحمان عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال : «كَانَ يُقَالُ الأَحْزَانُ فِي الدُنْيَا ثَلاَثَة : خَلِيلٌ فَارَقَ خَلِيلَهُ ، وَوَالِدٌ ثَكَلَ وَالِدهُ وَرَجُلٌ افْتَقَرَ بَعْدَ غِنَى » . بمعنى أن الإنسان عندما يكون غنيا ثم يبتلى بالفقر يصيبه حزن شديد "[3].

نتوصل إلى أن الحزن داء يصيب بني البشر فيغرقهم في دوامة من الأسى وهذا كله ناتج عن عدة أسباب سبق ذكرها .

4 ـ 2 ـ أسباب الألم :

للألم عدة أسباب نذكر منها :

أ ـ الألم عند فقدان شخص عزيز :

من أصعب الآلام التي تصيب الإنسان فقدان شخص عزيز عليه لأنه " حينما يفقد الإنسان إنسانا حبيبا عزيزا يكون هناك تهديد بفقده ، هذا التهديد بالفقد قد يكون تهديدا

(1) المصدر السابق : ص 8 .

(2) الحافظ بن أبي الدنيا : كتاب الهم والحزن ، مرجع سابق ، ص 29 .

(3) نفسه : ص 35 .

حقيقيا أو وهميا " [1].فالإنسان عندما ينفصل أو يفقد أهم الأشخاص في حياته سواء من أقرباءه (أمه ، أبيه ، أخيه ....) أو من أصدقاءه تنهار حياته وتصبح خاوية من أي معنى مثل : فقدان الأم لولدها خاصة إذا كان وحيدها وكان موته فجائيا فإنها تنهار وتكاد تصل إلى مرحلة الجنون أو إيذاء نفسها .

ب ـ الإحساس بالذنب :

إن الإنسان دائما يصيب أو يخطئ لكنه عندما يخطئ يحس بالذنب فالإحساس به " لا يزول إلاّ إذا عاقب الإنسان نفسه ، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يوقع العقاب على نفسه وذلك بأن يقتل نفسه أحيانا (...) فأخطر إحساس بالذنب هو ما يشعره الإنسان حين يفقد إنسانا عزيزا، يشعر أنه مسؤول عن فقده "[2] . فعلى سبيل المثال حادث المرور ، فعندما يصدم السائق شخصا ما بسيارته يشعر بالذنب لأنه كان السبب في موت الشخص .

ج ـ تعرضه لفشل ذريع في حياته ولم يستطيع أن يجتاز هذا الفشل :

فالإنسان عندما يتعرض لفشل ذريع في انجاز عمل يريد نجاحه ، ينتابه الشعور بالألم الذي قد يحطمه نفسيا فيكون ذلك الفشل عائقا أمام نجاحاته في عمله أوحياته خاصة وأن الحياة " يمكن تستمر بجسد يتألم ، ويمكن أن تستمر بجسد عاجز ولكنها لا تستمر بنفس حطمها الفشل فالإحساس بالألم بديل الشعور بالفشل "[3] .

د ـ حين يخذلك صديق أو يخيب ظنك عزيز أو يخونك حبيب :

فبسبب ذلك فإن ألما ينفجر في جزء من جسمك ، ذلك أن الإنسان فرد من المجتمع يكون حلقة من العلاقات الإجتماعية المختلفة ،ويكون انطباعا إيجابيا عنها فإذا ما تعرض لخيانة أو طعن في الظهر فإن ذلك يفقده الثقة بالآخرين والإنزال عنها.

ه ـ حين تفترق عن صديقك أو عزيزك أو حبيبك :

إن الإفتراق عن شخص قريب يسبب الألم أيضا لأن : " الألم يضرب جزءا من جسمك يمنعك من الحركة أو يمنعك من النوم " [4]، فالخصومات مثلا : تسبب الشعور بالإحباط وتفتح

(1) عادل صادق : الألم النفسي والعضوي ، مرجع سابق ، ص 32 .
(2) نفسه : ص 34 .
(3) نفسه : ص 42 .
(4) نفسه: ص 56 .

المجال للخوف من تكوين علاقات جديدة وتجعل الإنسان مضطربا نفسيا وعضويا فتؤثر على حياته وسلوكاته مع الآخرين مما يجعله يعيش في دوامة الألم والفشل.

و ـ إن الإنسان يعيش في دوامة من العلاقات قد تسودها المحبة أو الكره فمثلا : "حين يكرهك إنسان أو حين تكره إنسانا كان في يوم ما صديقا أو عزيزا أو حتى قريبا بحكم جيرة أو عمل فإن امتعاضك يمتصه أحد أعضاء جسمك فيصرخ بالألم (...) فآلام جسدك هي السد الذي يحميك من أن تواجه الكراهية وجها لوجها "[1]. إضافة إلى أن هذه الكراهية قد تؤدي إلى سلوكات مذمومة تنتج عنها عداوة لأن " العداوة حين تحتل القلب تضرم النار فيه (...) النار التي تريد أن تنطلق لتحرك كل شيء حولها ، عداوة تلح أن تترجم إلى عدوان يحطم ويدمر ، وحين تفشل في أن تسيطر على عداوتك وأن تكبح جماح عدوانك نحو إنسان يهمك فإن الألم يدب في جزء من جسدك وكأن عداوتك قد توجه إلى جسدك بدل أن يذهب إلى جسد الإنسان الذي تحمل له العداوة "[2] .

نستنتج أن الألم مرض يصيب الإنسان نفسيا وجسديا ، قد يكون بسبب أو دون سبب فيؤثر عليه ، ويخلّف وراءه أضرارا تمس نفسيته أو جسده .

نتوصل في الأخير الأسباب التي تؤدي إلى الحزن تتقارب كثيرا مع الأسباب المؤدية إلى الألم فكلاهما يؤثر على النفس والجسد .

***

(1) المرجع السابق : ص 56 .

(2) نفسه : ص 56 .

5 ـ مظاهر الحزن والألم :

معلوم أن الإنسان عندما يتعرض لموقف ما ، فإنّه يشعر بألم وحزن شديد ينعكس في مظاهر سواء كانت نفسية مؤثرة على مشاعره وأحاسيسه أو جسمانية مؤثرة على أعضاء جسمه .

5 ـ 1 ـ مظاهر جسمانية :

للحزن والألم مظاهر جسمانية تؤثر على الفرد وتتمثل في :

ـ ضيق الصدر :

فضيقه وانقباضه إحساس يصاحب الحزن ، وقد عبر القرآن عنه بقوله عزّ وجل :﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ { النحل | 127 } .

ـ تغيير ملامح الوجه :

مثل اسوداد الوجه أو أن يصبح شاحبا من كثرة الحزن والهم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَانِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ { الزخرف |17 } .

ـ البكاء :

يلاحظ على الإنسان الحزين غالبا أنه يعبر عن حزنه بالبكاء أثناء شعوره بالأسى والكآبة ، كقوله تعالى : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ { يوسف | 84 } .

هذا بالنسبة للحزن أما بالنسبة للألم فهي الآلام التي " تحس بها النفس عند فقدان الإعتدال الطبيعي ، أو عند تعرض الجسم لإصابات ضارة به كإحتراق الجلد ووجع العين والأذن والضرس، فهي إذن أحاسيس ناتجة عن أعراض فيزيولوجية " [1]والألم هو إحساس يشعر به الإنسان نتيجة تعرضه لأعراض خارجية في أي عضو من أعضاءه الذي يصدر" من منطقة معينة في الجسم ظاهرة أو باطنة (...) في اليد أو الكتف أو الرأس (...) في المعدة أو الحلق وهو إحساس صادر من الجلد أو العضلات أو العظام أو أي عضو داخلي في المعدة (...) أو أي بقعة في جسد الإنسان يمكن أن يصدر عنها الإحساس بالألم ..."[2] .

(1) سميح عاطف الزين : كتاب علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة ، مرجع سابق ، ص 238 .

(2) عادل صادق : الألم النفسي والعضوي ، مرجع سابق ، ص 14 .

5 - 2 - مظاهر نفسانية :

إن الإنسان عند تعرضه للحزن يشعر بالهم والغم والكآبة واليأس ممّا يجعله انطوائيا فيزداد ألم نفسه ن وتتضح لنا هذه الصورة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو سعيد الخضري قال : " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له : أبو أمامة ، فقال : يا أبا أمامة ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة ، قال : هموم لزمتني وديون ...."[1].

أما الألم النفسي فينشأ عن أسباب فكرية في الأصل " كالألم الذي يصيب الطالب بعد رسوبه في الإمتحان والحزن الذي يسيطر على الإنسان عند سماع الخبر بوفاة صديقه أو عندما يرتكب المؤمن معصية ما ، فتشعر النفس بسخط النزاعات فمنها ما هو غريزي ومنها ما هو مكتسب، وهناك ما يتولد عن الجسد أو الفكر "[2].

ومنه فالألم شعور أو انفعال ينتاب شخص ما وذلك يكون إثر تأثره بمثير خارجي كالجروح والإصابات مثلا ، أو داخلي كإحساسه بالألم جراء فقدانه لعزيز عليه فينعكس ذلك على نفسيته ويؤثر على حياته وعلاقاته داخل المجتمع الذي يعيش داخله

مما سبق يمكن القول أن الحزن والألم يشتركان في نفس المظاهر الجسمانية والنفسية إلّا أن كل واحد منهما له تأثيره الخاص على الإنسان وله ملامحه الدالة عليه.

***

(1) السجستاني (أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي) : سنن أبي داوود ، تح شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قروبلي ، باب في الإستعادة ، دار الرسالة العالمية ، دمشق ، (د ،ط) 1430 ه - 2009 م ، ص 561 .

(2) ينظر : سميح عاطف الزين : كتاب علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة ، مرجع سابق ، ص 238 .

6 ـ صور الحزن والألم :

إن مواجهة الإنسان في حياته لمواقف الحزن والألم وما ينتج عنهما من ردود الفعل تخلف وراءها عدة صور تتمظهر في الشكل الخارجي لجسم الإنسان " فالحزن انفعال كوني له تعبيرات محددة على الوجه يفهمها كل البشر ، إذ لا تخطئ العين الشخص الحزين من تقطيبة حاجبيه ، وضيق عينه وربما ارتجاف الذقن بعض الشيء كما تصحب البكاء غالبا كل هذه التعبيرات ، فالبكاء إشارة واضحة للتعبير عن الحزن وطلب المساعدة من الآخرين "[1]

كما يشبه انفعال الحزن الجوع " فالجوع هو الدافع للبحث عن الطعام لإشباع الجسد كذلك الحزن محرك لتعويض ما فقد واستعادة الوشائح التي تقطعت ، وكما يجلب الجوع التعاسة التي تختفي بالحصول على الطعام ، يجلب الحزن التعاسة حتى استعادة الشخص ما فقد منه "[2] .

بمعنى أن الإنسان عندما يكون في حالة من الحزن ، فإن كل ما يختلج صدره من الأسى ينعكس بشكل واضح على ملامح وجهه ونبرات صوته والحركات التي يمارسها والأمثلة على ذلك كثيرة ، وخير مثال على ذلك التسول ، فالمتسول يكون دائم الحزن ، نعرفه من خلال شكله سواء ملابسه أو ملامحه أو سلوكاته ،حيث يظهر البأس على وجهه من كثرة الحزن .

أما الألم فهو إحساس تصاحبه استجابات غير مستحبة تشعر الإنسان بالألم فمثلا : " جرح أصاب اليد ، هذا الجرح سينبه نهايات عصبية دقيقة تكون منتشرة على كل جلد الإنسان فتنتقل أحاسيس الألم ، فتنبيهها ينتج عنه استجابة غير مريحة لا يقوى الإنسان على احتمالها فيشعر بالألم الشديد " [3].

بمعنى أن الجرح الذي يصيب جلد الإنسان يؤدي إلى إحساسه بالألم الشديد من خلال تنبيه النهايات العصبية . فهو لا يقتصر على الجرح فقط وإنما مسّ أيضا المشاعر والأحاسيس باعتباره " يرتبط بالحب ارتباطا شرطيا قويا (...) ارتباطا يظل داخل خلايا مخ الإنسان حتى موته ، فإذا احتاج الإنسان للحب وهو يموت فإنّ عقله سوف يصدر إلى جسده آلاما يشكو منها ويتعذب مناديا من يقدم له الحب في لحظاته الأخيرة مثل الطفل الصغير عندما يتألم يبكي فتستجيب الأم لتخفف عنه ألمه فيحب يدها ونظراتها عينيها وكيانها ووجودها (...) فيزال عنه

(1) لويس ولبرت : الحزن الخبيث ، ترجمة عبلة عودة ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، أبو ظبي ـ الإمارات ، ط 1 ، 1435 ه ـ 2014 م ، ص 147 .

(2) نفسه : ص 148 .

(3)عادل صادق : الألم النفسي والعضوي ، مرجع سابق ، ص 15 .

الألم والكرب وابتعادها يشكل تهديدا صارخا لحياته "[1] . أي أن الطفل الصغير عند شعوره بالألم تكون الأم هي مصدر إزالة آلامه التي تعوضه بحنانها إلى حب وسعادة ، فهو وإن كبر ظل شاكيا أو صارخا من الألم عند إحساسه بالخوف أو الضعف طالبا يد المساعدة من شخص ليبعث فيه الطمأنينة والشعور بالأمان في حياته .

إضافة إلى أنّ المريض الذي يشعر بالألم النفسي يكون سلوكه مشابها للمريض الذي يشعر بألم في جسده " فكلاهما يشعر بالقلق والتوتر والبحث عن شيء يخفف هذه الآلام وأحيانا الإستغاثة والصراخ (...) فمريض الألم الجسدي يستطيع أن يشير إلى مكان ألمه ، بينما مريض الألم النفسي لا يجد مكانا يشير إليه ، ولذلك فهو في معظم الأحوال يشير إلى السماء "[2] .

فالإنسان حين يصدر" الآه " معبرا عن مدى قسوة آلامه ، فإنّ هذا لن يكون له علاقة على الإطلاق بما يحس به في جسمه ولكن هذه " الآه " ستكون تعبيرا صادقا عن المعنى المختزن في داخله .

نخلص إلى أنّ كلا من الحزن والألم تتجسد صورهما في الملامح الخارجية لوجه الإنسان إذ نشعر بإنسان مريض من خلال تعبيرات وجهه ونبرات صوته ونظرات عينيه وانفعالاته فكلاهما يرهق النفس والجسد ، فحين يحزن أو يؤلم الإنسان فإنه يصل إلى درجة البكاء ألما ، أي يبكي لوجع جسمه ونفسه .

***

(1) المرجع السابق : ص 27 ، 28 .

(2) نفسه : ص 83 .

7 ـ درجات الحزن والألم :

إن الإنسان عندما يصدمه خبر محزن سواء بفقدان شخص عزيز عليه أو تعرضه لحادث يؤدي به إلى الفشل ... فإنّ ذلك يشعره بالألم والحزن ، فهذا الحزن وذاك الألم درجات . قال صاحب المنازل : " عبد الرحمان الأنصاري في ذكر درجات الحزن : «له ثلاث درجات الدرجة الأولى : حزن العامة وهو حزن على التفريط في الخدمة وعلى التورط في الجفاء وعلى ضياع الأيام والدرجة الثانية : حزن أهل الإرادة وهو حزن على تعلق الوقت بالتفرق على اشتغال النفس عن الشهود وعلى التسلي عن الحزن وليست الخاصة من مقام الحزن في شيء ولكن الدرجة الثالثة من الحزن : التحزن للمعارضات دون الخواطر ومعارضات القصود و الإعتراض على الأحكام » "[1] بمعنى أن حزن العامة " أن يحزن الإنسان لتضييع العمل أو فقد أنس مع الله فإن توارى عنه تورط في الفجوة . أمّا تضييع الأيام فيكون بخلوها عن الطاعات وبخلوها عن مواجيد الإيمان وذوق حلاوته والأنس بالله وحسن الصحبة معه "[2] .

أمّا الدرجة الثانية " فتتمثل في عدم الجمعية في الحضور مع الله ، وتشتيت الخواطر في أودية المرادات واشتغال النفس عن الذكر الذي يوجب الشهود ويتمرد بغيره واشتغالها أيضا عن الشهود لضعف الذكر ، أو لضعف القلب عن الشهود ، أو لمانع آخر ، كما أنّ وجود الحزن في القلب دليل على الإرادة أو الطلب ففقده والتسلي عنه نقص "[3] .

أمّا الدرجة الثالثة " فإن القلب يعترضه وارد الرجاء مثلا ، فلم ينشب أن يعارضه وارد الخوف والعكس ، فهذه المعارضات ليست من قبيل الخواطر بل من قبيل الواردات الإلهية أمّا معارضات القصود فهي أصعب ما على القوم وفيه يظهر اضطرارهم إلى العلم فوق كل ضرورة ، أمّا اعتراضات الأحكام يريد بها الأحكام الدينية " [4].

إضافة إلى هذه الدرجات توجد درجات أخرى نذكر منها :

(1) عبد الله الأنصاري الهروى : منازل السائرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، (د ، ط) ، 1408 ه ـ 1988 م ، باب الحزن ، ص 25 ، 26 .

(2) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين ، تح محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 7 ، 1423 ه ـ 2003 م ، ص 503 .

(3) نفسه : ص 504 .

(4) نفسه : ص 506 .

7 - 1 - الغم والأسى :

" إن الحزن محبة وبلاء من الله تعالى بمنزلة المرض والهم والغم " [1]. فهذا يعني أنّ الغم هو أحد مراتب الحزن ، أمّا الأسى فهو أول مراتب الحزن الذي " هو والحزن شيء واحد ، إلّا أن حقيقة الأسى أنه غم على شيء قد فات و انقضى يقال : أسيت عليه أسى "[2] كقوله تعالى :﴿ فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ { المائدة | 68 } .

أي أن الغم والأسى يعبران عن الحزن على شيء فات في الماضي

7 - 2 - الغضب:

إن الغضب انفعال عدائي ، يدفع الإنسان إلى ممارسة سلوكات عدوانية ينتقم بها من الآخرين " فهو ثوران دم القلب ، أو انفعال النفس النقمة أو إرادة الإنتقام فهو يدفع الإنسان نحو الآخرين الذين يغضبونه بسلوك من العداوة والإنتقام لتصرفهم فقد يضرب غيره أو يحطم بعض الأشياء المادية ، أو يريد غضبه إلى نفسه " [3].

7 - 3 - الأسف :

" هو الحزن والغضب معا ، وقيل هو الحزن وحده أو الغضب وحده والأسف هو انفعال في النفس قد يؤدي إلى المواجهة أو الإنتقام "[4] . فقد حدثنا عبد الله حدّثني أبو محمد عن عثمان أبي سعيد البصري قال : " سئل بعض العلماء عن الحزن ، أي شيء هو ؟ قال : هو الأسف "[5] .

7 -4 - اليأس :

وهو إحباط يصيب الشخص ، يصيب الروح والعقل ، فيتجرد الإنسان من الشعور بالأمل ، فهو شعور يبث الحزن وعدم الراحة والإحباط وعدم التفاؤل في نفسه إلى درجة تمني الموت .

(1) المرجع السابق: ص 503 .

(2) سميح عاطف الزين : كتاب علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة ، مرجع سابق ، ص 181 .

(3) نفسه : ص 168 .

(4) نفسه : ص 181 .

(5) الحافظ بن أبي الدنيا : كتاب الهم والحزن ، مرجع سابق ، ص 62 .

أمّا للألم درجاته تتمثل فيما يلي : " محتمل وشديد وغاية في القسوة والضراوة لا يقوى الإنسان الضعيف على احتماله ويفضل الموت عليه " [1].

7 - 5 - ألم محتمل :

إن الألم المحتمل هو ما يتمكن الإنسان من احتمال آلامه ، والصبر على الوجع وعدم الضجر منها، مثل إصابة الإنسان بالجرح ، فهو على الرغم من شعوره بالألم إلّا أن لديه القدرة على احتماله .

7 - 6 - ألم شديد :

هو ما يصيب الإنسان ويجعله غير قادر على احتماله لأنه يفوق قوته فيجعله يبكي ويصرخ أو يستغيث طالبا يد المساعدة ، فالإنسان عندما يفقد أغلى ما يملك في حياته ، فإنه لا يستطيع احتمال الألم ، لأنه دائما يشعره بالعجز والضعف .

7 - 7 - ألم غاية في القسوة والضراوة :

هو الألم الذي لا يتمكن الإنسان من احتماله ، لأنه قاسي ومؤلم على الدوام لا يستطيع الصبر على آلامه أو تحملها ، مثل مرض السرطان ، هذا المرض الخبيث الذي يصيب بني البشر ، ويشعرهم بالضعف واليأس ، فكثير من الناس لا يحتملون آلامه ويفضلون الموت على العيش بهذه الآلام التي تنهكهم على الدوام .

***

(1) عادل صادق : الألم النفسي والعضوي ، مرجع سابق ، ص 218 .

8 ـ موقف الدين من الحزن والألم :

إن الحزن والألم داءان ضاران بالإنسان المسلم فلا بد أن يعمل جاهدا للتخلص منهما ما استطاع و إلّا وقع ضحية لهما ، لذلك جعل الله القرآن الكريم شفاء ورحمة للمؤمنين وما عليهم سوى العودة إليه و إلى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ليفوزوا بالسعادة والراحة في الدارين الدنيا والآخرة .

8 ـ 1 ـ الحزن :

معلوم أن الحزن شيء فطري ينتاب كل البشر عندما تواجههم متاعب هذه الحياة الدنيا فتأثر عليهم سلبا لذا ينبغي أن يتغلب عليه الإنسان وألّا يتمادى في الحزن على فوات أمور الدنيا جزعا وردا لقضاء الله وقدره مصداقا لقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ ، لِّكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ { الحديد | 22 ـ 23 }

فالإنسان الذي يتبع هدى الله والطريق المستقيم فإنه لا يحزن وهذا ما قاله سبحانه عن آدم عندما أنزله من الجنة : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ { البقرة | 38 } .

ومن ذلك أيضا نجد حزن أم موسى عليه السلام حين وضعته في الصندوق وألقت به في نهر النيل فقذفته الموج بعيدا عنها ، عندها هلع قلبها وحزنت عليه ، فجاءها الإلهام من الله تعالى بالصبر في قوله : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ﴾ { القصص | 13 } .

وحزن يعقوب على ابنه يوسف عليهما السلام عندما ألقاه إخوته في الجب حتى ابيضت عيناه من شدة البكاء لقوله تعالى :﴿ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللّهِ﴾ { يوسف | 86 } .

وحزن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما لم يستجيبوا له فقال الله تعالى ﴿ وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ { آل عمران 176 } .

فالله تعالى يهدئ من روع النبي ويأمره بألّا يحزن ، إضافة إلى ذلك نجد حزن الصحابة كحزن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في حادثة الهجرة يقول تعالى : ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾ { التوبة \ 40 }.

"وحزن الفقراء في غزوة تبوك الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحملهم معه إلى الجهاد ، فلم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه ، فرجعوا وقد أصابهم الحزن والضيق والكدر فامتدحهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنْفِقُونَ﴾ { التوبة |92 } "[1] .

وحدثنا الحسن بن عبد العزيز ، حدثنا يحي بن حسان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك و إبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه : و أنت يا رسول الله ؟ فقال : (يا ابن عوف إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَ العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلّا ما يرضى ربنا وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) "[2] .

فهذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز وهو ما كان بدمع العين ورقة العين من غير سخط لأمر الله لأننا نرضى بما يقدره الله لنا .

ويسند إلى مالك بن دينار قال : " إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب .

ويسند إلى إبراهيم بن عيسى قال : ما رأيت أطول حزنا من الحسن وما رأيت قط إلّا حسبته حديث عهد بمصيبة "[3] .

فالله تعالى قد خلق النفس البشرية في أحسن تقويم وفضلها على كثير ممن خلق تفضيلا وكان مما خلقه الله تعالى في تلك النفس المشاعر و الإنفعالات والأحاسيس كالشعور بالحزن الذي ينتاب بني البشر عندما يغالبون صروف الحياة ومحنها ، فهم مبتلون في هذه الحياة الدنيا لا محالة ، فما عليهم سوى الصبر وعدم الخروج عن رحمة الله ، فالحزن لم يرد في القرآن إلّا منهيا عنه لقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَهِنُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ { آل عمران | 139 } .

(1) عبد الله الخاطر : الحزن والإكتئاب على ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص 18 .

(2) ا البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) : صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط 1 ، 1423 ه - 2002 م ، ص 439 .

(3) ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان) : كتاب الطب الروحاني ، تح أبو هاجر محمد السعيد بن زغلول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط 1 ، 1406 ه - 1986 م ص 40 .

وقوله : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾ { التوبة | 40 } . لأن " سبب النهي عن الحزن أنه لا مصلحة فيه للقلب بل هو أحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن مواصلة طريق الحق لقوله تعالى :﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ { المجادلة | 10 }" [1].

إن الحياة الدنيا مليئة بالأحزان و المآسي ، كثيرة فيها المتاعب والمشاكل بيد أن الإنسان لا بد له أن يحصن نفسه على مواجهتها ويدرك كيفية السيطرة على مشاعره والتعامل مع الواقع حتى لا يكون الأثر كبيرا في نفسه وحزنه أشد .

8 - 2 - الألم :

إن الألم من المنظور الإسلامي هو الوجع وهو جنس من الأعراض الذي قد يكون ابتلاءا من الله تعالى بسبب أو من فعل العباد بسبب أيضا لقوله تعالى :﴿ وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاءِ القَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء | 104 }.

أي " لا تضعفوا في طلب عدوكم ، بل جدّوا فيهم وقاتلوهم ،واقعدوا لهم كل مرصد فكما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم فأنتم وإياهم سواء في ما يصيبكم من الجراح والآلام لكن أنتم ترجون من الله المتوبة والنصر والتأييد ، كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق وخير صدق ، وهم لا يرجون شيئا من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وأنّ الله هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقتضيه من أحكامه الكونية والشرعية "[2] . وخير مثال على ذلك ما وقع أثناء معركة أحد بعدما تحقق النصر للمسلمين سيطرت نزاعات الأهواء والمطامع على نفوس الرماة فخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا أماكنهم ولحقوا بالمشركين يبتغون الغنائم ،ووجدها المشركون فرصة سانحة فالتفوا من حول الجبل وجاءوا من وراء المسلمين يوقعون بهم الضرب والقتل فأصيب كثير من المسلمون في تلك المعركة بالجراح التي آلمتهم وأوجعتهم كثيرا إمّا في الأجسام أو الأنفس ولكن الله تعالى رغم تألم المسلمين فقد أمرهم أن يتبعوا المشركين في قوله :﴿ وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاءِ القَوْمِ﴾ { النساء | 104 } .

(1) ينظر : ابن القيم : مدارج السالكين ، مرجع سابق ، ص 500 .

(2) حسن عباس شربتلي : مختصر تفسير ابن كثير ، تح محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط7 ، 1402 ه - 1981 م ، ص 433 .

وقال الله تعالى عن عذاب الكافرين يوم القيامة :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ { النساء | 56 } .

" فهذا وعيد من الله تعالى للذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد من يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر الكفار ، بأنه سوف ينضجهم في نار يصلون فيها فكلما انشوت بها جلودهم احترقت (...) فعل الله ذلك بهم ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته بما كانوا في الدنيا يكذبون آيات الله ويجحدونها "[1] .

وقوله تعالى :﴿ وَسُقُواْ مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ { محمد | 15 } .

أي حارا شديد الحرارة والغليان يستوي الوجوه والأمعاء ويمزق الأبدان ، فمزق بغليانه وفوراته الأمعاء والأحشاء عياذا بالله من حال أهل النار "[2]. كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان يخفف عن قومه الوجع كان أشدهم وجعا فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " مَا رَأيتُ أحدًا أشَدَّ عَلَيهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُول اللّه َصلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم "[3] . فالوجع المرض الذي هو سبب الوجع ، والعرب تسمي كل مرض وجعا وقد خص الله أنبياءه بشدة الأمراض لما امتازوا به من قوة اليقين وشدة الصبر و الإحتساب .

يوضح الله تعالى أن كل من يخرج عن دينه ويكذب بآياته التي أنزلها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سوف يعذبه عذابا أليما في الدنيا والآخرة .

***

(1) الطبري : كتاب جامع البيان عن تأويل آيات القرآن ، تح بشار عواد معروف ، عصام فارس الحرستاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 1415 ه - 1994 م ، المجلد 2، ص 487 . 488

(2) مأمون حموش : تفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ، وزارة الإعلام ، دمشق ، ط 1 ، 1428 ه - 2007 م ، ج 1 ، ص 313 .

(3) البخاري : صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، ص 1432 .

9 ـ موقف العرف من الحزن والألم :

لقد عاش الإنسان العربي حياته في مجتمع يقوم على الحل والترحال ، فكان ينتقل من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكلأ من أجل استمراريته في الحياة " فالصحراء التي فرضت على العرب الترحل فرضت عليهم العيش في مجتمع قبلي بوجهيه الإجتماعي والسياسي ، ثم فرضت على أدبهم سمات هذا المجتمع ، فقد ترك هذا النظام القبلي أثره في أدب العرب "[1] فكان نظام القبيلة يقوم مقام الدولة وكانت القبائل تتفاخر فيما بينها بحسبها ونسبها وعظم قوتها وتعتبر نفسها الأفضل من غيرها ، وكانت العلاقة بين القبائل تمتاز بالتوتر والحروب المتواصلة خاضعة لحكم القوة " القوي يأكل الضعيف " وأن الحق للقوي ولو كان معتديا ، فالعربي إذا تعرض لإعتداء ما فإن قبيلته تهب لأخذ الثأر ومعاقبة القاتل لأن الإعتداء عليه يعتبر اعتداءا على القبيلة بأجمعها " فحياتهم كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى أصبحت سنة من سننهم ، فهم دائما قاتلون ومقتولون لا يفرغون من دم إلى دم لذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم ، هو قانون الأخذ بالثأر (...) إذ كانوا يحرّمون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتى يثأروا من غرمائهم (...) فهم لا يرضون بالدية ويرونها ذلا ما بعده ذل أن يستبدلوا بالدم الإبل وألبانها فالدم لا يشفيهم منه إلّا الدم "[2] . لذلك كان أفراد القبيلة يسرفون في الثأر والإنتقام ولإنصاف أهل القتيل، فكان ذلك سببا في نشوب الحروب التي استغرقت أعواما طويلة مثل حرب البسوس التي دامت حوالي أربعين سنة نتيجة مقتل كليب والتي كان بطلها المهلهل " الذي كان مع رفيقه همام شقيق جسَّاس ـ عندما جاءه وفاة أخيه ـ يشربان فأخبرته الجارية بالخبر(...) وعندما أفاق من سكره رأى القوم يعقّرون الخيل ويكسرون السلام تحسرا على كليب ، فنهاهم عن ذلك كما نهى النساء عن البكاء ، ولكنه تمادى في بكاءه ورثاء أخيه (...) حتى نعته أهله بالنائحة فانتبه وجمع قومه وهيئهم للقتال طلبا لثأر كليب "[3] . فقال يرثي كليبا ويتعهد بني شيبان :

(1) غازي طليمات و عرفان الأشقر : تاريخ الأدب الجاهلي ـ قضاياه ، أغراضه ، أعلامه ، فنونه ، مكتبة الإيمان ، دمشق ، ط 1 ، 1419 ه ـ 1992 م ، ص 31 .

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ـ دار المعارف ، القاهرة ، ط 11 ، (د ، ت) ، ص 62 ، 63 .

(3) المهلهل بن ربيعة : الديوان ، شرح وتحقيق أنطوان محسن القوّال ، دار الجبل ، بيروت ، ط 1 ، 1415 ه ـ 1995 م ، ص 10 ، 11 .

لمَّا نَعَى النَّاعِي كُلَيبًا أضْلَمَتْ ♦ شَمْسُ النَّهارِ فَما تُرِيدُ طُلوعَا
قَتَلوا كُلَيْبًا ثُمَّ قَالُوا أرْتَـــــعُوا ♦ كَذبُوا لقَدْ مَنَعُوا الحِيَّادَ رُتُوعَا
حَتَى أبيدَ قَبيلَةٌ وَقَبيلـــــــــةٌ ♦ وَقَبيلَةٌ وقَبيلَتَيْنِ جَمِيعَـــــــا [1]

وقال يتهدد بني بكر :

ذَهَبَ الصّلْح أوْ تَرُدُّوا كُلَيبًا ♦ أوْ أُذِيقَ الغَدَاةَ شَيْبَــانَ ثُكْلا
ذَهَبَ الصّلْحُ أوْ تَرُدُّوا كُلَيبًـا ♦ أوْ تَذوقُوا الوَبَالَ وِرْدًا وَنَهْلاً[2]

فبهذا الوضع النفسي الحزين والأليم ، وقف المهلهل يرثي أخاه بذكر مناقبه ومحاسنه وجميل صفاته معبرا عن مدى حبه لأخيه ، ويتعهد قاتليه بالثأر حفاظا على الكرامة وشفاء لنفس الشاعر إذا انتقل من موقف البكاء والندب إلى موقف التهديد ،فهو يريد قطع الصلح مع الثعلبين معلنا عليهم حرب الفناء

وكذا قيس بن الخطيم قتل أباه رجلا من عبد قيس ، ومات جدّه عدي قتيلا ، قتله رجل من بني عمرو بن عامر ، فأخذ قيس على نفسه أن يثأر لأبيه وجدّه قائلا :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبدِ القَيْسِ طَعْنَةَ ثَـائِرٍ ♦ لَهَا نَفَذٌ لَوْلاَ الشُّعَاعُ أضَاءَهَـــا
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأنْهَرْتُ فَتْقَـــــهَا ♦ يَرَى قَائِماً مِنْ خَلْفِهَا مَا وَرَاءَهَا
وَكُنْتُ امْرِءًا لاَ أسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً ♦ أُسَبّ بِهَا إلاَّ كَشَفْتُ غِطَاءَهَـــا
تَأرْتُ عَدِيًّا والخَطِـــيمَ فَلَمْ أُضِعْ ♦ وِلاَيَةَ أشْيَاءٍ جُعِلتُ إزَاءَهَـــــا[3]

أمّا دريد بن الصمة فقد حزن على أخيه حزنا شديدا ورثاه بعدة مراثي ، ولم يترك غزو بني غطفان من قتل جماعة منهم ، ثأرا لمقتل أخيه ، ولمّا لامته زوجته أم معبد إسرافه في الأخذ بالثأر وفي الحزن طلقها ، يقول في رثاء أخيه عارض (اسمه عبد الله) :

طِعَانَ امْرِئٍ آسَى أخَاه بِنَفْسِهِ ♦ وأعْلَمُ أنَّ المَرْءَ غَـــيْرُ مُخَلَّدِ
وَإنْ يَكُ عَبدُ الله خَلَّى مَكَانَــهُ ♦ فَمَا كَانَ وَقَّافًا وَلاَ طَائِشَ اليَدِ[4]

(1) المهلهل بن ربيعة : الديوان ، شرح وتحقيق طلاب حرب ، الدار العالمية ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 48 .
(2) نفسه : ص 60 ، 61 .
(3) قيس بن الخطيم : الديوان ، تح ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 43 ، 46 ، 49 .
(4) دريد بن الصمة : الديوان ، تح عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 65 .

فنجد أن نفوس شعراء الجاهلية ـ الرجال ـ لم تكن شديدة الإنكسار على الرغم من تعرضها لمواقف الموت التي تتجسد في مرارة الحزن والبكاء على الميت ، وهذا راجع إلى أنّ أيام العرب كانت تملأها الحروب ، وكانوا يواجهون الحزن بالإرادة مصممين على الإنتقام والأخذ بالثأر ، كما كان للنساء دور بارز في الأخذ بالثأر " فقد كان الرجال يصحبون النساء معهم في الحرب ، فكنّ يشددن من عزائمهم بما ينشدون من أناشيد حماسية ، حتى إذا قتل فارس ندبته ندبا حارا حاضّات على الأخذ بثأره و الإنتقام من قتلته ، وتلمع من هذا الجانب أسماء كثيرات على رأسهن الخنساء ومراثيها في أخويها صخر ومعاوية " [1]. خاصة أخاها صخر الذي هو محور دراستنا ، فقد كانت المرأة العربية هي التي تشجع القوم وتستنهض هممهم على الحرب فكثر الثأر ، لأنها كانت حارة العواطف غزيرة الدموع ، لا تقبل أن تفقد أعز الناس و أقربهم إليها ، فقد كان شعرها مشتعل الوجدان ، و كانت الحروب دافعا في إضرامه ، حيث وقّدت فيها نيران الحقد والثأر ، فنجدها تأخذ صورة الثأر في قولها :

ألاَ أبلِغَا عَنِّي سُلَيمًا وعَامِـــرًا ♦ ومَنْ كَانَ منْ عُلْيَا هَوازِنَ شَاهِدَا

بِأنَّ بَنِي دُبيَانَ قَدْ أرْصَدُوا لَكُمْ ♦ إذَا مَا تَلاقَـــــــيتُمْ بِأنْ لا تعَاودَا [2]

كما أنها حرّضت على الثأر لأخيها صخر في قولها :

وَلاَ أسَالِمُ قَومًا كنْتَ حَرْبَهُمْ ♦ حَتَّى تَعُودَ بيَاضًا جُؤْنَةَ القَارِ

إلى أن تقول :

لا نَوْمَ حَتى تَقُودُوا الخَيْلَ عَابسَةً ♦ يَنْبُذْنَ طِرحًا بِمُهْرَاتٍ وَأمْهَارِ [3]

يمكن القول إن أكثر بكاء الخنساء على أخيها صخر كان لأنه لم يأخذ بثأره ، وهكذا طال حزنها عليه مقارنة بحزنها على معاوية الذي تذكر بعض الروايات " أن صخرا قتل قاتل أخيه وأدرك بثأره في بني مرة " [4].

وقالت تحرض قومها على قتلة أخيها :

أبَنِي سُلَيمٍ إنْ لَقَيتُمْ فَقْســـــعًا ♦ فِي مَحْبَسٍ ضـــنْكٍ إلَى وَعْرِ

فَالقَوْهُمْ بِسيوفِكُمْ ورِمَـــاحكم ♦ وبِنَضْخَةٍ فِي اللَّيْلِ كَالقَـــطْرِ

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ـ الأدب الجاهلي ـ ، مرجع سابق ،ص 73 .

(2) الخنساء : الديوان ، شرح حمدو طماس ، دلر المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 1425 ه ـ 2004 م ، ص33.

(3) نفسه : ص 54 ،55.

(4) طيفور أحمد بن أبي الطاهر : بلاغات النساء ، مطبعة مدرسة والدة عباس باشا الأول ، القاهرة ـ مصر ، (د ، ط) ، 1362 ه ـ 1988 م ، ص 167 .

(5) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص53 .

حَتَّى تَقُضّوا جَمعَهُمْ وتَذَّكروا ♦ صَخْرًا وَمَصـــرعَهُ بِلاَ ثَأرِ

وَفَوَارِسًا مِنَّا هُنالِكَ قُتـــلوا ♦ فِي عَثْرَةٍ كَانـَتْ مِنَ الدَّهْرِ[5]

فهي تطالب قومها أن يغزوا أعدائهم ليلا فينضخوهم بالنبال رشقا كالمطر ، وكأنها تريد أن تبيد قبيلة قاتلي أخيها جميعا ، فهي لا تذكرهم بمصرع أخيها فقط ، بل تذكرهم بمقتل فرسان من القبيلة قد قتلوا معه ، فالثأر لا يكون لمقتل أخيها فقط ، و إنما يشمل كل القبيلة .

ومن أشد الصور في شعرها تأثيرا في التحريض على طلب ثأر أخيها صخر قولها :

أَبْلِغْ سُلَيْمًـــا وَعَوْفًا إنْ لَقَيْتَهُمُ ♦ عَمِيمَـــةً مِنْ نِدَاءٍ غَيْرِ إسْرَارِ

شُدوا المَآزِرَ حَتَّى يُسْتَدَفَّ لَكُمْ ♦ وشَمِّرُوا إنَّـــــهَا أيَّامُ تَشمارِ

أوْ تَحفِرُوا حفْرَةً فالمَوتُ مُكْتَنِعٌ ♦ عِنْدَ البُيُوتِ حُصَينًا وَ ابنَ سَيَّارِ [1]

فالخنساء تُأنب قومها وتلومهم بقعودهم عن حماية أخيها صخر ، لذا تحثهم على التكفير عن خطيئتهم ، بأن يشمروا عن سواعدهم للأخذ بثأر صخر الذي سلموه لقاتليه : حصين ، وابن سيّار .

فعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الخنساء على التحريض للأخذ بالثأر إلّا أنها لم تنجح فيما يبدوا في تحقيق ذلك ، فأصبحت لا تنفك عن تنظيم الشعر محاولة لتعويض نفسها عن فقدانه وكأنها تملأ بالشعر مساحتها النفسية الفارغة التي تعاني من الحزن والألم .

من كل ما سبق نتوصل إلى أن الحزن والألم شعور ينتاب بني البشر ويشعرهم بالتوجع والتفجع والأسى نتيجة أسباب دينية أو دنيوية تأثر عليهم نفسيا أو جسديا أو هما معا فالدين قد نهى عن الحزن لأنه لا مصلحة فيه للقلب وأمر بالصبر والعرب في الجاهلية لم يأخذوا بهذا المبدأ (الصبر) بل تجاوزوه إلى مبدأ الأخذ بالثأر ، وخير مثال على ذلك الخنساء التي كانت تحرض عليه ، وتطالب بالثأر لدم أخويها خاصة صخر الذي كان حاميها وقرة عينها وحامي القبيلة ، فنجدها تكثر في رثاءه ، وبذكر جميل خصاله حتى تشفي غليلها من كل الأحزان والآلام التي تعتريها وتأثر عليها نفسيا وجسديا ، وهذا ما سنحاول دراسته لا حقا بإظهار صور الحزن والألم فيه .

***

(1) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص54-55 .

الفصل الثاني

ظاهرة الحزن والألم في شعر الخنساء

1- تجليات حزن وألم الخنساء المظهري والنفسي

2- تجلياته الفنية

2- 1 - في الألفاظ

2- 2 - في الصور

2- 3 - في الموسيقى

1 ـ تجليات حزن وألم الخنساء المظهري والنفسي :

يعد الرثاء من أهم الفنون وأبرز الموضوعات في الشعر العربي عامة والشعر الجاهلي خاصة ذلك لارتباطه بظاهرة الموت ، فالموت موضوع شغل بال كثير من الشعراء ونسجوا فيه فأبدعوا قصائد يبكون فيها على موتاهم ولا شك أنّ رثاء الخنساء لأخيها صخر فاقت به غيرها من الشعراء العرب القدامى في البكاء فقد جسدت شاعريتها الخصبة بتصوير تجربتها الذاتية في حلّة متميزة ، فلم تستطع أي شاعرة أن تتفوق عليها خاصة في غرض الرثاء ، الذي أصبح الغرض الرئيسي الذي نظمت فيه كثيرا من القصائد ، جسدت فيها ما أصابها من مآسي لفقدها أعز الناس إليها ، فشعرها مثّل تجربة واقعية عاشتها في حياتها ، وحزنها صادر من أعماق نفس ذاقت مرارة الفقد ، فقتل أخويها وخاصة صخر الذي حزنت عليه حزنا شديدا ، حتى فتك الحزن أكمام شاعريتها وجعل صدرها متألما وحزينا على فقدانه وقد تجلت هذه الأحزان والآلام في مظاهر داخلية تمثلت في اليأس ، جرح القلب وجع القلب ، ضيق الصدر، حرقة وتصدع القلب ، التفكير في الموت ...الخ التي انعكست آثارها على الخارج كالبكاء ووجع العين ، إصابة عينها بالقذى ، دق العظم الأرق والسهر ... الخ ، فرثته بأجمل مراثي الشعر العربي ، ففراقه سبب لها الحزن والألم لدرجة أنها لم تتوقف عن البكاء ، وتأمر عينها وتحثها على مزيد من الدموع وكأنها تعاتبها على تقصيرها في سكب الدموع متهمة إياها بأنها ليست على مستوى المصيبة ، وكأنها لم تدر أنّ الدهر الذي تعوّد أن يرمي الناس بسهامه قد أصابها في أكرم أخ لها خاصة أن صخرا كان عينها التي تبصر بها ، لهذا تأمر عينها بالبكاء فعند رؤيتها للناس الأحياء تتفجّج جراحها فبدل أن تتعزى بهم تفتش فيهم عن أخيها وهذا دليل على تعلّقها بأخيها الأمر الذي أغرقها في حزن داخلي تظهر آثاره على الخارج المتمثل في البكاء ، ودرجته الغم والأسى وذلك في قولها :

يا عَينِ مَالكِ لَا تَبكينَ تَسْكابَا* ♦ إذْا رابَ دَهرُ* ، وكَانَ الدَّهرُ رَيَّابَا*

فابْكِي أخَاكِ لأيْتامٍ وَأرْمَلَـــــةٍ ♦ وَابكِي أخَاكِ ، إذا جَاوَرْتِ أجْنَـــابَا* [1]

(1)الخنساء : الديوان ، شرح حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 1425ه ـ 2004م . ص 18 *التسكاب : أي صبا ، وهو مصدر السكب / *راب الدهر : إذا تغير عليك وأراك ما تكره /*الريب : الشر /*الأجناب : الغرباء .

فعيناها تورمت من البكاء ودموعها منهمرة غزيرة لا تتوقف ، فوجعها جعل جراحها لا تلتئم وكبدها يفتت ، ويشعل النيران في صدرها ويحرق قلبها ممّا جعلها غير قادرة على الصّبر لشدة حزنها ووجعها المتمثل في ضيق الصدر وهو حزن داخلي تظهر آثاره على الخارج في بكاءها على فراق أخيها وموته ، درجته الغم والأسى ويتجلى ذلك في قولها :

مَابَالُ عَينيكِ مِنها دَمعُهَا سَربُ* ♦ أراعَهَا حَزَنٌ أمْ عَادَهَـا*طَربُ*

أم ذِكرُ صَخْرٍ بُعَيْدَ النَّومِ هَيَّجَهَا ♦ فالدَّمعُ مِنْهَا عَليه الدَّهرَ يَنسَكِبُ[1]

كما تطالبها ـ الدموع ـ بالفيض والإمتلاء كما الغروب ، فاكتمل الألم عندها بالإنتقال من حدث خارجي يرتبط بالدموع إلى حدث داخلي يرتبط بقبر صخر الذي أقام وسط حفرة بها حجارة رقاق سقفت بها القبور ، خاصة أن قبره تمر عليه الرياح النوافح ولا أحد سيتذكره سواها وهو ألم شديد لأنها لم تتمكن من احتمال حرقة فراقه ، وذلك في قولها :

يا عَينِ جُودِي بالدُّمُـــوعِ ♦ المُسْتَـــــهلاَّتِ*السَّوَافِحْ*

فيضًا كَمَا فَاضَتْ غرُوبُ* ♦ المُتْرَعاتِ*منّ النَّواضـِحْ*

وابْكِي لصـــــَخْرٍ إذْ ثَوَى ♦ بيْنَ الضَّرِيحَةِ*والصَّفَائِحْ*[2]

فهي لم تتوقف عن البكاء ، بل ظلت تطالب عينها بالبكاء الشديد وتشبه دموعها باللؤلؤ في السمط وكأن عينها تذرف خيوطا من الدموع ، وهي دلالة على عدم انقطاع دموعها فالحزن الداخلي تظهر آثاره على الخارج المتمثل في البكاء الغزير دون توقف ، درجته الغم والأسى وذلك في قولها :

يَا عَينِ جُودِي بِدَمعٍ مِنكِ مَسْكُوبِ ♦ كلُؤْلُؤٍ جَالَ فِي الأسْمَاطِ*مَثْقُوبِ[3]

كما طالبت عينيها بالبكاء الشديد وعدم البخل في انهمار الدموع لموت أخيها ، الذي كان معطاء وجريئا وسيدا ، فهي تبكي أخاها وتمدحه بأجلّ الصفات والخصال الحميدة لشوقها وحنينها له فالحزن الداخلي تظهر آثاره على الخارج المتمثل في البكاء ، درجته الغم والأسى وذلك في قولها :

(1) المصدر السابق : ص 17 . *السرب : السائل / *عادها : زارها / *طرب : حزن .

(2) نفسه : ص 25. *المستهلات : من استهل الدمع انهمل / *السوافح : الدموع المرسلات / *الغروب : ج غرب أي المسيل /* المترعات : المملوءات *النواضح : ج ناضحة أي ما يسقى بها / *الضريحة : القبر / *الصفائح : حجارة عراض رقاق تسقف بها القبور.

(3) نفسه :ص 18 . *الأسماط : ج سمط وهوالخيط الذي تنظم فيه الحرز واللآلئ .

أعِينيَّ جُودَا وَلاَ تَجْمُـــــدَا ♦ ألاَ تَبْكِيانِ لصَـخْرِ النَّدَى

ألاَ تَبْكِيانِ الجَرِيءَ الجَمِيلَ ♦ ألاَ تَبكِيانِ الفَتَى السـَـيِّدَا ؟[1]

فهي لكثرة بكائها وحزنها وحرقتها أصابها الأرق فلم يغمض لها جفن ، كأنها كحلت عينيها بالقذى فالألم الداخلي تظهر آثاره على الخارج في إصابة عينها بالعوّار ، وهو ألم شديد لا تقوى على احتمال آلام وأوجاع فقده وذلك في قولها :

يَا عَينُ فِيضِي بِدَمْعٍ مِنكِ مِغْزَار ♦ وابْكِي لِصَخْرٍ بِدَمْعٍ مِنكِ مِدْرَار

إنِّي أرَقْتُ فَبِتُّ اللَّيلَ سَـــاهِرَةٍ ♦ كَأنَّمَا كُحِلَتْ عَيْنـــــــِي بِعُوَّار* [2]

وتصور لنا أيضا ما تلاقيه من الألم لفقد أخيها ، وتحث عينها على البكاء والنواح لذا نجدها تطالب عينها بالبكاء الغزير دون بخل فالألم الداخلي تظهر آثاره على الخارج فتتأذى العين من كثرة البكاء ، وهو ألم شديد لا يحتمل ألمه ويتجلى ذلك في قولها :

ألاَ يَا عَينِ فَانْهَمِرِي بِغُدْرِ ♦ وَفِيضِي فَيضَةً مِنْ غَيرِ نَزْرِ[3]

فمن كثرة بكاءها أصيبت بالقذى ، فلا تكاد تبصر النور ، والمقصود أن عينها لم تعد تبصر أحدا بعده ، فترى أنّ الكون خلى من الناس بعد موته ، فما أن تتذكره حتى تذرف من الدموع أنهارا فهذا الألم الداخلي تظهر آثاره على الخارج في إصابتها بالقذى من كثرة البكاء على صخر وهو ألم شديد لا تصبر عليه وذلك في قولها :

قَذًى*بِعَينكِ أمْ بالعَيـْنِ عُوَّارُ ♦ أمْ ذَرَفَتْ*إذْ خَلَّتْ مِنْ أهْلِهَا الدَّارُ

كَأنَّ عَينيّ لِذِكْرَاهُ إذَا خَطَرَتْ ♦ فَيضٌ يَسِيلُ عَلَى الخَدَّيْـــنِ مِدْرَارُ[4]

فهي لم تلق الراحة والسرور بعد صخر حتى جازتها صروف الأيام بالنواح حيث جعلن ثواب نواحها لوعة الحزن في ضميرها ، فمن كثرة البكاء عليه وحزنها أصبح قلبها مليئا بالجراح التي لا تلتئم فالألم الداخلي يظهر أثره في جرح القلب وهو ألم شديد لأنها لا تستطيع احتمال هذا الألم الذي لا يشفى أبدا في قولها :

(1) المصدر السابق: ص 31.

(2) نفسه : ص 53 ، 54 . * العوّار : القذى .

(3) نفسه : ص 43.

(4) نفسه : ص 45. *القذى : وجع في العين يصيبها وهو مثل الرمد / *ذرفت : قطرت قطرا متتابعا لا يبلغ أن يكون سيلا .

لاَ تَخَلْ أَنَّنِـــــــي لَقَيتُ رَوَاحـاَ* ♦ بَعْدَ صَخْرٍ حتَى أَتَبْنَ* نوَاحَا

منْ ضَمِيرِي بلوعةِ الحُزْنِ حَتى ♦ نكَأَ الحُزْنُ فِي فُؤَادِي فِقَــاحَا [1]

كما تأمر عينها بالبكاء على صخر للتخفيف من حزنها كلما جال ذكره في قلبها الموجع لأن تذكره يسبب لها المرض والحزن ، فالألم الداخلي يظهر أثره في وجع القلب وهو ألم شديد لا يحتمل القلب وجعه ويتجلى ذلك في قولها :

يَا عَينِ بَكِّي عَلَىَ صَخْرٍ لأَشْجَانِ ♦ وهَاجِسٍ*في ضَمِيرِ القَلْبِ خَزَّانِ*

إنِّي ذَكَرْتُ نَدَى صَخْرٍ فَهَيَّجَــنِي ♦ ذِكْرُ الحَبِـــيبِ عَلَى سُقْمٍ وَأَحْزَانِ [2]

وارتبط التذكر عند الخنساء بذرف الدموع ، فحين يظل الصدر كاظما للحرقة الداخلية ، تلك النار التي لا يطفأها أي عزاء مهما كان نوعه ، فقلب الخنساء يذوب ويحرق من كثرة المعاناة لذلك أقسمت أنها لن تستسلم لهذا الوهن والضعف الذي قصد قلبها وأحزن فؤادها فهو حزن داخلي يظهر أثره في ضيق الصدر وإصابة فؤادها بالكآبة ، درجته الغم والأسى وذلك في قولها :

ذَكَرتُكَ ، فاسْتَعبَرتُ والصَّدْرُ كَاظِمٌ* ♦ عَلَىَ غُصَّةٍ مِنهَا الفُؤَادُ يَـذوبُ

لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْهَيتَ قَلْبِـي عَن العَزَا ♦ وطَأْطَأْتَ رَأسِي والفُؤَادُ كَئِيبُ [3]

فالخنساء تذكر صخرا بالليل الشديد الظلام وفؤادها متصدع من شدة التعلق بأخيها الذي ترك فراغا في قلبها وهذا ما زاد من حرقتها وألمها ، فالألم الداخلي يظهر أثره في القلب المتصدع من شدّة الوجع والألم وهو ألم شديد لا يمكن نسيانه ولا احتماله في قولها :

إنِّي تَذَكَّرتُهُ واللَّيلُ مُعتَكر ♦ فَفِي فُؤادِي صَدعٌ غَيرُ مَشْعُوبِ* [4]

وتذكره في ذهابه إلى الغزوات صباحا وعودته مساءا بالغنائم ، وتراه للضيوف فتصفه بالبأس والجود ، فالتذكر لديها دليل على استمرار حزنها وعدم نسيانها لأخيها حتى أنها فكرت في قتل نفسها لولا تقاسمها حزنها مع مجموعة من الباكين الذين فقدوا أحبتهم وذويهم فالحزن الداخلي يظهر أثره في التفكير بالموت ، درجته اليأس وذلك في قولها :

(1) المصدر السابق: ص 28 . *الرواح : الراحة / *أثبن : من أثابه جازاه .

(2) نفسه : ص 111. *الهاجس : ما خطر في البال / *الخزّان : أي أنه يخزن الأشجان أي الأحزان .

(3) نفسه : ص 19 . *كاظم : من كظم غيضه ردّه أو حبسه ، .

(4) نفسه : ص 18 . *غير مشعوب : غير ملتئم .

يُذَكِّرُنِي طُلوعُ الشمسِ صَخرًا ♦ وَأذكُرُهُ لِـكلِّ غُروبِ شَمس

وَلَوْ لاَ كَثْرَةُ البَاكِـــينَ حَوْلِي ♦ عَلَى إخْوَانِهِمْ لَقَتَـــلْتُ نَفْسِي[1]

وتصف ألمها نتيجة كسر عظمها وصدرها بسبب هلاك صخر وموته ، فهي لا تطيق الزوال عن المكان ، فالألم الداخلي تظهر آثاره على الخارج في كسر عظمها وجانبي صدرها " دقّ عظمي وهاض منّي جناحي " ، فهو يدل على الألم التي تعاني منه وهو ألم صادرعن الخوالج الحزينة ، ألم حرق فؤادها وفجّج صدرها ، وهو ألم شديد لا تستطيع احتمال آلامه الموجعة ويتجلى ذلك في قولها :

إنَّ فِي الصَّدْرِ أرْبعًا يَتَـــجَاوَبْنَ ♦ حنِينًا حتَى كَسَرْنَ الجَنَـــاحَا

دَقَّ عَظْمِي وَهَاضَ*منّي جَناحِي ♦ هُلْكُ صَخْرٍ فَمَا أُطِيقُ برَاحَـا*[2]

وظلت باكية وغاضبة على مقتل أخيها فتحرض قومها على الأخذ بثأره وتتعهد بأنها سوف تبقى باكية حتى يؤخذ بثأره ، فالحزن الداخلي تظهر آثاره على الخارج في استمرار بكاءها وحزنها درجته الغضب والأسف وذلك في قولها :

وَسَوفَ أبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ ♦ وَمَا أضَاءَتْ نُجُومُ اللَّيلِ للسَّارِي

وَلاَ أُسَالِمُ قَومًا كنتَ حَرْبَـــهُمْ ♦ حَتَى تَعُودَ بيَاضًا جُؤْنَـــةُ القَارِ*

أبْلِغْ سُلَيمًا وَعَوفًا إنْ لَقِيْـــتَهُمْ ♦ عمِيمَةٍ مِنْ نِداءٍ غَيرِ إسْـــرَارِ

لَا نومَ حَتَى تَقُودُوا الخَيْلَ عَابِسَةً ♦ يَنْبُذْنَ طِرْحًا*بِمُهرَاتٍ وأمْهَارِ[3]

فمن شدة الحزن والبكاء تمنت الخنساء لو أنّ أمها لم تلدها مستوية الخلق لا عيب فيها ومن شدة الجزع تمنت الشاعرة لو أنها ماتت وهي بين أيدي القوابل ، فالحزن الداخلي يظهر أثره في تمني الموت " وكنت ترابا بين أيدي القوابل " ، درجته اليأس وذلك في قولها :

ألاَ لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي سَوِيَّةً* ♦ وكُنْتُ تُرَابًا بَيْنَ أيْدِي القَوَابِلِ[4]

(1) المصدر السابق: ص 72.

(2) نفسه : ص 28. * هاض : كسر / *البراح : الزوال عن المكان .

(3) نفسه ص 54 ، 55. *جؤنة القار : سواده والقار يطلى به البعير الأجرب لمداواته / *طرحا : ألقته قبل كماله ونضوجه .

(4) نفسه : ص 94 . * سوية : مستوية الخلق لا عيب فيها .

2 ـ تجلياته الفنية :

معلوم أن الشعر الجاهلي شعر صادق العواطف ، قصائده طويلة ، يبدأ بمقدمة طللية بالوقوف والبكاء على الأطلال كقول امرئ القيس :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ♦ بِسقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ

فتُوضِحَ فَالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ♦ لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وَشَـــمْأَلِ[1]

أو مقدمة غزلية يتغزل فيها الشاعر بمحبوبته كقول عنترة بن شداد :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ ♦ أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَـــعْدَ تَوَهُّمِ

يَا دَارَ عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تَكَلَّـــمِي ♦ وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وكَـــأَنَّهَا ♦ فَدَنٌ لأَقْضِيَ حَاجَـــــةَ المُتَلَوِّمِ[2]

فالخنساء رغم كونها من هذا العصر إلاّ أنها تجاوزت الطقوس المتعارف عليها في نظام القصائد العربية التقليدية ، إذ نلاحظ أنّ ديوانها يخلو من أي قصيدة شعرية منظومة على الطريقة التقليدية فهي قد قطعت هذا الحاجز وافتتحت قصائدها بمطالع بكائية ، تخاطب فيها عينها وتحثها على البكاء الغزير ، والحديث عن الحزن والدهر مستخدمة في بعض مطالعها أسلوب النداء الذي تريد به التنبيه ، وفي بعض الأحيان استخدمت أسلوب الأمر الذي يدل دلالة واضحة على حرصها الشديد في مخاطبة العين مخاطبة أمرية لتستجيب وتلبي الطلب ، ثم تتخلّص بعدها إلى الحديث عن مناقب المرثي وذكر فضائله من شجاعة وقوة وكرم ويتجلى ذلك في قولها :

يا عَيْن جُودِي بالدُّمُوعِ ♦ فَقَدْ جَفَتْ عَنْكِ المَرَاوِدْ

وابْكِي لِصَـــــخْرٍ إنَّهُ ♦ شَقَّ الفُؤَادَ لِمـــَا يُكَابِدْ

المُسْتَضَافِ مِنَ السِّنِينَ ♦ إذَا قَسَا مِنْهَا المَـحَارِدْ*[3]

معتمدة في ذلك على الأوزان الطويلة والقوافي السهلة ، على الرغم من أنّ قصائدها ليست طويلة ، بل معظمها مقطوعات شعرية قصيرة لا تتجاوز في بعض الأحيان عشرة أبيات

(1)امرؤ القيس : الديوان ، دار المعارف ، ط4 ، 1984 م ، ص 8 .

(2) عنترة : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 15 .

(3) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 34 ، 35 . * المحارد : ج محراد ، هي السنة الجرباء التي خلت من الأمطار .

أو قصائد متوسطة الطول ، مثل قصيدة " كم من مناد دعا " التي تتكون من ستة أبيات والتي مطلعها :

يَا عَيْن جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ مَسْكُوبِ ♦ كَلُؤْلؤٍ جَالَ فِي الأسْمَاطِ*مَثْقُوبِ[1]

وقصيدة " تأزّر بالمجد " التي تتكون من ثمانية أبيات شعرية التي مطلعها :

أعِينيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ♦ ألاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى[2]

وأطول قصيدة لها الرائية " فرع لفرع كريم "التي لا تتجاوز الستة وثلاثين بيتا و التي مطلعها:

قَذًى بِعَيْنِكِ أمْ بالعَين عُوَّارُ* ♦ أمْ ذَرَفَتْ*إذْ خَلَتْ مِنْ أهْلِهَا الدَّارُ[3]

فهي بذلك خرجت عن نظام القصيدة العربية التقليدية من حيث شكلها ، كما أنّ قصائدها اتسمت بالوحدة الموضوعية والنفسية ، كونها تعالج موضوعا واحدا من مطلع القصيدة حتى نهايتها وهو البكاء والحزن على موت أخيها صخر مع ذكر خصاله ومناقبه ، فإحساسها كان صادقا ينم عن تجربة شعرية مؤلمة وموجعة ، أمّا من حيث المضمون فهذا ما سنحاول دراسته .

2 - 1 - في الألفاظ :

الألفاظ هي مادة كل شاعر وآداته في التعبير عمّا يختلجه ، فكل لفظ له معنى يعبر عنه أي أنّ لكل دال مدلول يلازمه ويوضح معناه ، ومن المعروف أن لكل شاعر معجما لغويا يعبر به عن تجربته الشعرية ويكشف عن أبعاده الذاتية بفنية وإبداع ، كالخنساء التي عبّرت عن تجربتها والمصيبة التي ألمت بها بألفاظ توحي بحزنها وألمها مثل توظيفها للفظة " البكاء " في قولها مثلا : ابكي أخاك ، فابكي لصخر ، وابكي لصخر ، ياعين بكّي ، ألا تبكيان لصخر ألا تبكيان الجريء ، بكت عيني ، أبكي لصخر ، فابكي فتى ، فلأبكينّك نبكي لصخر ، تبكي خناس ، وابكيه للطارق المنتاب ، وابكيه للخيل ، سوف أبكيك ، عين فابكي لي ، فبكوا على صخر بن عمرو ، فخنساء تبكي في الظلام حزينة ، أنّي سأبكي أبا حسّان ، وابكي أخا ...الخ فكان بكاءها واستمرارها في الندب لشعورها بالفقد والفراغ الذي ترك في داخلها لموت صخر

(1) المصدر السابق : ص18 .* الأسماط : واحدتها سمط : خيط تنظم فيه الخرز واللآلئ

(2) نفسه : ص 31 .

(3) نفسه : ص 45 .* العوار : وجع في العين يصيبها وهو مثل الرمد / * ذرفت : قطرت قطرا متتابعا لا يبلغ أن يكون سيلا .

قرة عينها وسندها في حياتها ، فبكت لأنّ قلبها يفيض حبا وحنانا له ولأنه كان بمواصفات الأخ المثالي لها ومن ذلك قولها تحث عينيها على البكاء عليه :

أعِينيَّ هَلاَّ تَبكِيَان عَلَى صَخْرِ ♦ بِدَمْعٍ حَثِيثٍ*لاَ بَكِيءٍ*ولاَ نَزْرِ[1]

فهي أكثرت من البكاء على أخيها فمزجت بينها وبين عينيها في قالب شعري ترسم من خلاله أحزانها ومآسيها وحرقة فؤادها .

كما اتجهت إلى ألفاظ أخرى ترتبط بالبكاء ، وتتصل بمعناه في تمثيل عاطفتها وهي لفظة " الدمع " مثل قولها : جودي بدمع ، ما بال عينك منها دمعها سرب ، فالدمع منها جودي بالدموع ، أهاج لك الدموع ، عيني جودا بدمع ، أعيني جودا بالدموع ، يا عين فيضي بدمع استهلا بدمع غير منزور ، فأذري الدمع ... الخ ،فالدمع يشير إلى سيلان وانهمار واستمرار البكاء مع مخاطبة عينيها في قولها :

يَا عينِ بكّي بدَمْعٍ غَيرِ إنْزَافِ* ♦ وَابْكِي لصَخْرٍ فَلَنْ يَكْفِيكِهِ كافِ[2]

إضافة إلى بروز ألفاظ مرادفة للدمع والبكاء وهي كثيرة نذكر منها "التلهف "في قولها :

يَا لَهفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ وَقَدْ لَهِفَتْ ♦ نَفْسِي إذَا الْتَفَ أبطَالُ بِأبْطَال

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ إذَا رَكِبَتْ ♦ خَيْلٌ لِخَيْلٍ تُنَادِي ثَمَّ تَضْطَرِبُ[3]

وقولها : لَهْفِي عَلَى صَخْرٍ فَإنِّي أرى لَهُ ♦ نَوَافِلَ* مِنْ مَعْرُوفِهِ قَدْ تَوَلَّتِ

ولَهْفِي عَلَى صَخْرٍلَقَدْ كَانَ عِصْمَةً* ♦ لِمَوْلاَهُ إنْ نَعْلٌ بِمَوْلاَهُ زَلَّتِ[4]

كما ورد "النّدب" في قولها :

إنِّي سَأَبْكِي أبَا حسَّانَ نَادِبَةً ♦ ما زلتُ فِي كُلِ إمْسَاءٍ وإشْرَاق

وقولها : فَنِسَاؤُنَا يَنْدُبْنَ نَوْحًا ♦ بَعْدَ هَادِيَةَ الـــــــــــــنَّوَائِحْ[5]

في هذه الأبيات نلاحظ أن الخنساء قد أكثرت البكاء على أخيها حتى وصل بها الأمر إلى الندب وهذا نتيجة الحالة النفسية المتأزمة التي تعيشها لفراق أخيها الذي ترك فراغا في حياتها فكانت تعوض ذلك بالبكاء عليه لتظهر مدى حزنها وألمها على فقدانه ، فمن كثرة انهمار دموعها

(1) المصدر السابق ، ص 48 .*الحثيث : السريع / * البكيء : القليل .

(2) نفسه : ص 83 . *إنزاف : إفناء .

(3) نفسه : ص 92 ، 17 .

(4) نفسه : ص 22 . * النوافل : ج نافلة ، وهي الزيادة في الشيء ، أو ما يعطى زيادة / * العصمة : الوقاء .

(5) نفسه : ص 89 ، 26 .

أصيبت عينها بالأذى والمرض ، وقد عبّرت عن ذلك بألفاظ تتعلق بالعين وما يصيبها في قولها :

بَكَتْ عَينِي وَعَاوَدَهَا قَذَاهَا* ♦ بِعُوَّار فمَا تَقْضِي كَرَاهَا* [1]

فهي قد أصيبت بالعوار من كثرة بكاءها وسهرها لإظهار حزنها و ألمها المستمرين .

فكما استعملت الخنساء ألفاظا سهلة وواضحة في تراكيبها كالبكاء ، الدمع ضاقت بي الأرض ، سالت ، انهمرت ... الخ ، استعملت أيضا ألفاظا صعبة وتجلى ذلك بألفاظ دلّت على أسماء أو مواضع أو نباتات أو حيوانات مثل لفظة : المكتنع* ، السبنتى* ، مقمطرات* الضريك* ، الخنشليل* ... وغيرها مثل قولها تخاطب صخرا :

كَمْ مِنْ منادٍ دَعَا واللَّيلُ مُكْتنعٌ* ♦ نفَّسْتَ عنْهُ حِبَالَ المَوتِ مَكْرُوبِ

وقولها : علَى ماجِدٍ ضَخْمَ الدَّسِيعَة بَارِعٍ ♦ لَهُ سُورَةٌ*فِي قَوْمِه مَاثُـــــحَوَّلُ[2]

من كل ما سبق يمكن القول أن الخنساء عاشت تجربة حزينة ومؤلمة جسّدتها في أشعارها ، وعبّرت فيها بألفاظ حزينة ومؤلمة مستمدة معانيها من تجربتها الواقعية التي عاشتها فكانت ألفاظها انعكاسا لكل ما يختلج صدرها من أحزان وآلام ، عذبة وشجية ،تلونت بلون المأساة التي حلّت بها وما يندرج تحتها من عواطف وأحاسيس مؤلمة ، لها صلة وثيقة بفن الرثاء ، وعاطفتها صادقة لا يشوبها تكلف ، فهي لم تكف عن البكاء وظلت عيناها مغرورقة بالدموع ويتجلى ذلك في قصائدها الشعرية .

***

(1) المصدر السابق : ص 115 .* القذى : ماوقع في العين من تبنة وغيرها / *الكرى : النوم

*السبنتى : جريء الصدر وأصله في النمر / * مقمطرات : الصخور / * الضريك : الفقير / * الخنشليل : الجيد الضرب بالسيف .

(2) نفسه : ص 18 ، 91 . * مكتنع : دان وحاضر / *سورة : منزلة وشرف .

2 - 2 - في الصور :

تعتبر الصورة عنصرا أساسيا في بناء القصيدة الشعرية ، فهي الأداة التي يعبر بها الشاعر عن تجاربه فيعكسها في شعره ، ويستطيع من خلالها نقل أحاسيسه وعواطفه إلى القراء والمتلقين ؛ إذ تعتبر العاطفة والخيال عنصرين أساسيين يعتمدهما الشاعر في تشكيل صوره الشعرية ، فكلما كانت تجربته واقعية وعاطفته صادقة جاءت العواطف جيّاشة تحرك خيال الشاعر وتلهمه فينسج أشعارا صادقة تعبر عن تجربته الشعرية والواقعية التي عاشها وتكشف عن خبايا نفسه والحالة النفسية التي عانى منها الشاعر ، فبهما ـ العاطفة والخيال ـ يتمكن الشاعر من رسم صور أصيلة مشحونة بالعواطف والإنفعالات فتتلون مشاعره وأحاسيسه فيها فالخيال طريق الشاعر إلى إبداع الصور الشعرية التي تجسد الواقع النفسي والشعوري ، ومن ذلك تعرضه ـ الشاعر ـ لموقف نفسي معين كتعرضه للحزن والألم الذي يحرك خياله ويدفعه إلى خلق صور تحمل هذه العواطف فتحس فيها بعاطفته ووجدانه إزاء ما يصوره ،معتمدا في ذلك على اللغة التي ينقل عن طريقها فكرته وعاطفته إلى سامعيه فلها دور في تشكيل الصورة وهذا ما وضّحه عبد القاهر الجرجاني في قوله : " إنّ اللغة تجري مجرى العلامات والسمات ولا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه "[1] . فالصورة تقابل الشكل الشعري بكل مقوماته من تراكيب وألفاظ وموسيقى ومعاني ، فالشاعر يجسد صوره وفق أشكال حسية كالصورة البصرية ، السمعية اللمسية ، الشمية ، الذوقية بغرض توضيح وإقناع القارئ ، كما يلجأ أيضا إلى الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية لإيصال المعنى وتوضيحه أكثر .

فالخنساء اعتمدت في شعرها على الصور الحسية باعتبارها عنصرا أساسيا في تشكيل صورها الفنية فالبيئة الجاهلية كانت بيئة حسية استطاعت من خلالها أن تجسد واقعها المعاش في أشعارها بكل ما وقع عليه حسها وسمعها وبصرها ولمسها وشمها وذوقها ، مجسدة ذلك في شكل صور بيانية من أبرزها :

(1)الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح محمد رشيد رضا ومحمد محمود الشنقيطي ، راجعه محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (د ، ت) ، ص 76 .

2 - 2 - 1 - التشبيه :

يعد التشبيه من أهم وسائل البيان عند العرب ، فهو وسيلة للخيال وطريقة يحتذي بها الشاعر في التصوير وتقريب المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي، ويعبر من خلاله عن ذاته المبدعة وعاطفته الصادقة ومن ذلك فالتشبيه :

أ - لغة :

" التشبيه والشبه ، المثل وأشبه الشيء : ماثله ، وأشبهت فلانا وشابهته واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها : أشبه كل واحد منهما صاحبه ، والتشبيه : التمثيل"[1] .

ب - اصطلاحا :

" بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر ، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة ، وأركانه : المشبه ، والمشبه به ، ويسميان طرفا التشبيه ، وأداة التشبيه ووجه الشبه" [2].

فالتشبيه يمنح النص كثافة تصويرية وأبعادا إيحائية تجذب اهتمام المتلقي ، ويكشف عن حقيقة الموقف الجمالي الذي عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع .

لقد اعتمدت الخنساء كثيرا على التشبيه في تشكيل صورها الفنية لما له من أثر كبير في إيضاح المعاني والأفكار ونقل المشاعر والأحاسيس ، صورت من خلاله أخاها في أحلى الصور ، فكان الأكثر بروزا في شعرها ، كما صورت انهمار دموعها أثناء تذكره بفيضان الماء في زيادته ، فذكرت المشبه (العين) والمشبه به (فيض يسيل) ، الأداة (كأن) ووجه الشبه هو(الكثرة والتدفق) وهو تشبيه مجمل،و صورة بصرية متحركة صوّرت من خلالها حركة الدموع وانهمارها كالماء الذي يندفع بسرعة وليس له حاجز ،ومن ذلك قولها تبكي أخاها صخر وترثيه :

كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ ♦ فَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى الخَدَّينِ مِدْرَارُ[3]

كما تصوّر بكاءها الغزير على أخيها، فقد شبهت سرعة تساقط الدموع من عينيها تساقطا متسلسلا واحدة تلوى الأخرى بسرعة تساقط حبّات اللؤلؤ وتفرقها واحدة واحدة بعد انقطاع

(1) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مجلد 13 ، باب الشين ، مادة شبه .

(2) علي الجازم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة البيان ، المعاني ،البديع ، دار المعارف ، (د ، ط) ، 1999م ، ص 20 .

(3) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 45 .

السلك الذي ينظمها ، فذكرت المشبه وهو تساقط الدموع بحبات الجمان وهو تشبيه تمثيلي وهو صورة بصرية متحركة اعتمدت فيها على البصر ويتجلى ذلك في قولها :

كَأَنَّ جُمَانًا*هَوَى مُرْسِلاً ♦ دُمُوعَهُمَا أَوْ هُمَا أَسْرَعُ

تَحَدَّرَ وَانْبَتَّ*مِنْهُ النِّظَامُ* ♦ فانْسَلَ مِنْ سِلْكِهِ أَجْمَعُ[1]

وتطالب الخنساء من عينها وعشيرتها البكاء على صخر الذي كان جميل الصفات والخصال فشبهت حركة الرماح في طعن الصدور وجذبها منها حركة حبال الدلاء في إنزالها إلى البئر لاستقاء الماء وجذبها منه ،فذكرت المشبه (حركة الرماح) والمشبه به (حركة حبال الدلاء) ووجه الشبه (الهيئة الحاصلة من الحركة السريعة) وحذفت الأداة ، وهو تشبيه بليغ وصورة بصرية حركية تمثلت في تصويرها لحركة الرماح وذلك في قولها :

فابْكِي أَخَاكِ لأَيْتَام أضَرَّ بِهِمْ ♦ رَيْبُ الزَّمَانِ، وكلُّ الضَّرِّ يَغْشَانِي

وابْكِي المُعَمَّمَ زينَ القَائِدِينَ إذَا ♦ كَانَ الرِّمَـــاحُ لدَيهِمْ خَلْجَ*أَشْطَانِ*[2]

وتواصل الخنساء بكاءها ورثاءها لأخيها بذكر أجلِّ خصاله ومكارمه حتى شبهته بالجبل في شهرته وجعلته جبلا مشهورا يتوجه إليه ، فهو مثل ضربته ـ الجبل ـ في شهرة أخيها وذيوع صيته وهو تشبيه مرسل ذكرت فيه كل أركان التشبيه و صورة بصرية متحركة تتمثل في حركة النار في رأس الجبل وذلك في قولها :

تَبْكِي خُنَاسُ فَمَا تنْفَكّ مَا عَمَرَتْ* ♦ لهَا عَلَيْهِ رَنِينُ وَهِيَ مِفْتَارُ

وَإنَّ صـــَخْرًا لتَأتَمّ* الهُدَاةَ* بِهِ ♦ كَأَنَّهُ عَلَمٌ*في رأســـِهِ نَارُ[3]

فمن كثرة تعلقها بأخيها الذي كان محمود الشمائل والخصال لم تتوقف عن البكاء وأصبحت تصفه بأحسن الصفات حيث شبهت وجه صخر المنير والوضّاح باستنارة وبريق الدينار الصافي وهو تشبيه مجمل ، و صورة بصرية ضوئية تتمثل في تشبيهها وجه أخيها بالبريق واللمعان كلمعان الدينار الجديد المنقود، وقد تجلى ذلك في قولها :

(1) المصدر السابق :ص 78 . *الجمان : اللؤلؤ / * انبتّ : انقطع / *النظام : السلك .

(2) نفسه : ص 111 .*الخلج : الجذب والتحريك / *الأشطان : ج شطن : الحبل .

(3) نفسه : 45 ، 46 . * ماعمرت : ما عاشت / * تأتم به : تهتدي به / * الهداة : ج هاد وهو المرشد / * العلم : الجبل .

يَا عَينُ فابْكِي فتًى مَحْضًا*ضَرَائِبُهُ* ♦ صَعباً مَرَاقِبُهُ سَـــهْلاً إذَا رِيدَا*

لاَ يَأْخذُ الخَسفَ فِي قوْم فيغضِبَهُمْ ♦ وَلاَ تَرَاهُ إذَا مَا قَامَ مَحْـــدُودَا

كَأَنَّمَا خَلَقَ الرَّحْـــمَانُ صُورَتَهُ ♦ دِينَار عَيْنٍ*يَرَاهُ النَاسُ مَنْقُودَا*[1]

ومن كثرة حبها لأخيها أصبحت ترى أن الكون فيه فراغ ونقص وضيق للنفس لموته فذهبت إلى تشبيهه بالبدر في الضياء والبهاء ، أي بالبدر الساطع في السماء فذكرت الصفات التي يشترك فيها صخر مع البدر ، فالمشبه (صخر) والمشبه به (البدر)ووجه الشبه (الضياء) وهو تشبيه بليغ ، و صورة بصرية ضوئية صورت من خلالها أخاها بالقمر في إنارته لظلمات الليل وذلك في قولها :

ضَاقَتْ بِي الأَرْضُ وانفَضّتْ* محارِمُهَا ♦ حتى تخَاشَعَتِ الأَعْلاَمُ والبِـــيدُ

وقَائِلِـــــينَ تَعَزّي عـــــــن تَذَكّرِهِ ♦ فالصَّبْرَ ! لَيسَ لأَمْرِ الله مرْدُودُ

يا صَخرُ قَدْ كُنـــــتَ بَدْرًا يُسْتَضَاءُ بِهِ ♦ فَقَدْ ثَوَى يومَ مُتَّ المَـجْدُ والجُودُ[2]

كما تجسدت الصورة عندها أيضا في وصف عطاء وكرم أخيها ، حينما تشبه طلاب المعروف الوافدين إليه من كل طريق بالبحر الفائض الكثير الماء ، وهو تشبيه مرسل ذكرت المشبه (بغاة الخير) بفيض الماء ووجه الشبه (كثرة الماء) أي الخضرم ، وهو صورة بصرية متحركة اعتمدت فيها على بصرها في إدراك الأشياء كذكرها لحركة طلاب المعروف وفيض الماء وذلك في قولها :

أمن ذِكرِ صَخرٍ دَمْعُ عَينِكِ يَسْجُمُ ♦ بِدَمْعٍ حَثِيـــــثٍ كالجُمَانِ المُنَظَّمِ

كَأَنَّ بُغَاةَ الخَيْرِ عِنْدَكَ أصْبَـــحُوا ♦ عَلَى نَهْجٍ مِنْ طَافِحِ البَحْرِ خِضْرِمِ*[3]

واتجهت أيضا إلى التعبير عن أحاسيسها وألمها لفقد أخيها فهي تشير إلى المصيبة التي حلّت بها لموته ، فشبهت حرارة هذه المصيبة بالجمر في حرارته ولهيبه وهي حرارة لا تقاوم حتى أصبحت لا تقوم على النوم ، وهي تدل على النار التي تحرق فؤادها من كثرة الحزن والألم فهو تشبيه مجمل ،شبهت المصيبة التي أصابتها لفقد أخيها بحَرِّ الجمر وهي صورة لمسية اعتمدت

(1) المصدر السابق :ص 38 . *المحض : الصافي من كل شيء والخالص عنه / * ضرائبه : ج ضريبة أي الشيمة ، الطبيعة / * ريدا : مجهول ، وراده : طلبه ، قصده / * العين : الذهب *المنقود : من نقد الدراهم ميز جيدها من رديئها .

(2) نفسه : ص 38 .*انقضّت : سقطت .

(3) نفسه : ص 110 . * الخضرم : الكثير الماء.

فيها على حاسة اللمس ، فباتت تحس بهذه المصيبة وكأنها نار تستعر في جوفها ،وذلك في قولها :

لِمَرْزِئَةٍ كَأَنَّ الجَوفَ مِنْهَا ♦ بُعَيدَ النَّومِ يُشْعَرُ حَرّ جَمْرِ [1]

وتواصل الخنساء مدحها لأخيها وحنينها له ، فتشبه حنين الرياح الطائشة المضطربة أثناء انتظارها للعواصف القوية بحنين المرأة على ولدها المفقود في الصوت الذي كله ألم وتوجع فتراه بأنّه نعم الفتى الكريم المعطاء ، وهو تشبيه بليغ ، ذكرت المشبه (هوج الرياح) بالمشبه به (حنين المرأة) ، وهو صورة سمعية تمثلت في سماع صوت الرياح الهوجاء التي تتلف كل شيء على وجه الأرض ، وهي صورة ذكرتها لتظهر كرمه وسخائه وقت الشدة والحاجة وقد تجلى ذلك في قولها :

نِعْمَ الفَتَى كُنْتَ إذْ حَنَّتْ مُرَقْرِفَةً ♦ هُوجُ الرِّيَاحُ حَنِينَ الوُلْهِ الحُورِ* [2]

2 - 2 - 2 - الإستعارة :

إن الإستعارة تعدّ من إحدى أدوات الشاعر في تشكيل صوره الشعرية ، فهي من أهم تقنيات التصوير في الكلام لكونها آلية الشاعر الإنزياحية ، فهو يحدّد انفعالاته ومشاعره بطريقة استعارية تتم وفق رؤية داخل بوتقة نفسية بهدف توضيح المعنى وتأكيده وإبرازه في معرض حسن .

أ - لغة :

مأخوذة من "العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه ، والمعاورة والتعاور شبه المداولة والتداول يكون بين اثنين ، وتعوّر واستعار : طلب العارية ، و استعارة الشيء واستعاره منه : طلب منه أن يعريه إياه"[3] .

ب - اصطلاحا :

" في الأصل تشبيه حذف أحد طرفيه ، وصرح بالطرف الآخر ، أو رمز إليه بشيء من لوازمه وصفاته ، ويسمى النوع الأول بالإستعارة التصريحية - التي يذكر فيها المشبه به

(1) المصدر السابق : ص 43 .

(2) نفسه : ص 60 .* الحور : ج حوراء التي اشتد بياض بياض عينها وسواد سوادها.

(3) ابن منظور : لسان العرب ، مجلد 4 ، مادة عور .

ويحذف المشبه ـ أمّا النوع الثاني فيسمى بالإستعارة المكنية ـ ما حذف منها المشبه به ويؤتى بصفة من صفاته ـ" .[1]

فالإستعارة لا تغير المعنى ، وإنما تغير طريقة تقديمه وإثباته وتجعله أشد تأثيرا في المتلقي وقد وظفت الخنساء هذا اللون من الصور ـ الإستعارة ـ في كثير من أشعارها لإظهار مقاصدها ومعانيها توظيفا إبداعيا تجاوزت فيه التعبير العادي لتحلّق في سماء الإبداع بلغة شعرية ذات دلالات عميقة تمكنت من خلالها من تحريك مشاعر المتلقي وتفاعله مع أشعارها فمن خلال صورها كشفت عن أبعاد تجربتها النفسية والشعرية ،حيث صورت الخنساء في البيت الأول الدهر بإنسان يقتل أو يطعن أو يؤذي ، فذكرت المشبه (الدهر) وحذفت المشبه به لتقوية المعنى وتقريبه ، وتركت قرينة دالة عليه (رابها) على سبيل الإستعارة المكنية وهي صورة بصرية حركية تمثلت في انهمار الدموع وتغير الزمن فعلى الرغم من استمرار الزمن إلّا أنّ حزنها وبكاءها على أخيها لم يتوقف ، وفي البيت الثاني اتجهت إلى حيوان الصحراء " النمر " لتستعين به في تشبيه اندفاع وسرعة انطلاق صخر إلى معاركه وحروبه وقد امتلك سلاح القوة والشجاعة في الظفر بالأعداء كسرعة وانطلاق النمر إلى العراك فاستعانت بسلاحان " أنيابه وأظفاره " على سبيل استعارة تصريحية ، وهي صورة بصرية حركية صوّرت فيها الخنساء أخاها بأشجع الحيوانات في الفطنة واليقظة والإندفاع في الحروب لجرأته وشجاعته وسرعته الكبيرة التي توازي سرعة النمر في الدفاع والحركة وقدرة إتقانه لوسيلة الدفاع (السيف) وانقضاضه على العدو بكل شجاعة وقوة ، ومن ذلك قولها في رثاء أخيها وبكاءها عليه :

تَبْكِي خُنَاسُ على صَخْرٍ وَحَقَ لَهَا ♦ إذْ رَابَهَا الدَّهْرُ ، إنَّ الدَّهْرَ ضرَّارُ

مَشَى السَبَنتَى* لِى هَيْجَاءَ مُعْضِلَةٍ ♦ لَهُ سِلاَحَانِ : أنْيَابُ وَأظْـــــفَارُ[2]

كما تذّكر الخنساء بكرم أخيها صخر وقيمه الخلقية ، فتشبه في البيت الثالث نوافله (عطاياه) بالإنسان الحَمِي ، فذكرت المشبه وحذفت المشبه به وأتت بأحد لوازمه (تلقى) على سبيل الإستعارة المكنية ، وهي صورة بصرية حركية صوّرت من خلالها كرم صخر وجوده وما يدل

(1) عثمان موافي : في نظرية الأدب ـ من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم ، دار المعرفية الجامعية ، الإسكندرية ، (د ، ط) ،2000م ، ج 1 ،ص 154 .

(2) الخنساء : الديوان ، ص 45 ، 46 . *السبنتى : الجريء الصدر وأصله في النمر .

على ذلك لفظة (تلقى) التي تمنح هذه العطايا دفقة حركية ، وذلك من خلال المساعدات التي كان يقدمها للغني والفقير في قولها :

طَرَقَ النَّعْيُّ على صُفَيْنَةَ غُدْوَةً ♦ وَنَعَى المُعَمَّم مِنْ بنِي عمرِو

حَامِي الحَقِيـــــقَةِ وَ المُجِيرَ إذَا ♦ مَا خِـــيفَ حدُّ نَوائِبِ الدّهرِ

تَلْقَى عِيَـــــــــــــالَهُمُ نَوافِلُهُ ♦ فَتُصِيبُ ذَا المَيْسُورِ والعُسْرِ [1]

وتستمر الخنساء في حديثها عن صخر ليصل بها الأمر إلى تشخيص الهموم التي تقبل عليها بعد غيابه ،فتصف الشاعرة الهموم التي أصابتها نتيجة الواقعة الأليمة التي جعلتها تذهب وتجيء في الصباح والليل عليها كأنها إنسان يدرك أفعاله ، فهي ترسم آلامها وأحزانها في أحلى صورة فنية على سبيل الإستعارة المكنية ، وهي صورة ذوقية تجسدت من خلال تذوق الخنساء مرارة الهموم والأحزان والآلام التي أصابتها وألمّت بها في قولها :

دَهَتْنِي الحَادِثَاتُ بِهِ فَأَمْسَتْ ♦ عَليّ هُمُومُهَا تَغْدُو وَتَسْرِي

لَوْ أنّ الدَّهْرَ مُتَّـــــخِذٌ خَلِيلاً ♦ لكَانَ خَلِيلُهُ صَخرُ بنُ عمرِو [2]

كما ذهبت الخنساء إلى تجسيد الموت وتشخيصه ،فهي هنا ترثي أخاها وتفتخر به بوصف فضائله ، لأنه دائما يزيل هموم الناس وكربهم وتبرز قدرة صخر الفائقة في الإستجابة لمطالب قومه ، فاستعارت الحبال لأسباب الموت المكروب ، وكأنّ أسباب الموت ـ هي أمور معنوية ـ يمسكها صخر بيديه ويفك منها صاحبها على سبيل الإستعارة التصريحية ، وهي صورة سمعية تتمثل في استغاثة القوم ليلا بصخر واستجابته لهم في قولها (كم من مناد دعا) ومن ذلك قولها :

كمْ مِنْ مُنَادٍ دَعَا واللَّيلُ مُكْتَنِعٌ* ♦ نَفَّسْتَ عنهُ حِبالَ المَوتِ مَكْرُوبِ [3]

وتواصل الخنساء بكائها وافتخارها بأخيها بمدح صفاته الحميدة وهي تعاني من مرارة فقده فاستعارت الخنساء (المراض) للأحقاد والضغائن ، ثم ذكرت الشفاء الذي هو من خواص المرض الحقيقي ليكون المعنى أوقع وأبلغ في النفس ، لبيان أن مراض القلوب الحاقدة حقدا مريرا استحال إلى مرض خطير ، وأن صخر هو المنجي أو الشافي في قومه من أمراض

(1) المصدر السابق : ص 52 .

(2) نفسه : ص 44 .

(3) نفسه : ص 18 . * مكتنع : دان ، حاضر .

القلوب من الأعداء بسيفه وشجاعته على سبيل الإستعارة التصريحية ، وهي صورة بصرية حركية تمثلت في شجاعة صخر وبسالته الذي كان الشافي والمنقذ لقومه من أمراض القلوب في قولها :

وابكِي لِصَخرٍ إذْ ثَوَى ♦ بَينَ الضّرِيحَةِ والصّـــفَائِحْ

ذاكَ الّذِي كُنـــــّا بهِ ♦ نَشْفِي المِرَاضَ مِن الجَوَانِحْ*[1]

2 - 2 - 3 - الكناية :

تعدّ الكناية عنصرا مهما من عناصر تشكيل الصورة الشعرية ، فهي تدل على براعة الشاعر في صياغة معانيه بأسلوب رفيع وعبارات موجزة لها معنى ، كما تعدّ من الأساليب الفنية التي لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم المؤلمة وتوصيلها إلى المتلقي بطريقة خفية غير ظاهرة ومنه فالكناية :

أ - لغة :

ورد في لسان العرب الكناية " أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية " [2].

ب - اصطلاحا :

تطلق على معنيين : "الأول المعنى المصدري ، الذي هو فعل المتكلم ، أي ذكر اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادته معه ، والثاني اللفظ المستعمل فيما وضع له لكن لا يكون مقصودا بالذات بل لينتقل منه إلى لازمه لما بينهما من العلاقة واللزوم العرفي"[3] .

فقد اعتمدت الخنساء في شعرها على الكناية ،وصوّرت من خلالها معانيها بكنايات يسيرة الفهم ، خاصة في تصوير خصال أخيها صخر ومكارمه ، فالخنساء أرادت أن تصف أخاها بالشجاعة والجمال كنت عن ذلك بقولها (الجريء الجميل) وبطول القامة فكنّت عن ذلك بقولها (طويل النجاد) فخمائل سيفه ليست قصيرة ، وأرادت أن تصفه بالسيادة والشرف وأن منزله معلم لصفاته فلم تصرّح بقصدها وصرّحت بما يدل على ذلك في قولها (رفيع العماد) ، فقد كان عظيم المكانة في قومه عالي الشأن بين عشيرته وسيدا مقدما في قومه

(1) المصدر السابق : ص 25 ، 26 . * الجوانح : ج جانحة الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر.

(2) ابن منظور : لسان العرب ، مجلد 12 ، مادة كنى .

(3) أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، البيان ، والمعاني ، البديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 3 ، 1416 ه - 1993 م ، ص 302 .

في قولها (ساد عشيرته أمردا) وهي كناية عن نجابته ، وهي صورة بصرية متحركة تمثلت في استمرار سيادته لعشيرته ومن ذلك قولها :

أعِينيَّ جُودَا ولا تجـــمُدَا ♦ ألا تَبكِيَانِ لصخرِ النَّدَى ؟

ألا تَبكيانِ الجَرِيءَ الجَمِيلَ ♦ ألا تَبْكِيانِ الفَتَـــى السيِّدَا ؟

طويلَ النِّجادِ*رَفيعَ العِمَادِ* ♦ ســـــادَ عَشِيرَتَهُ أمْرَدَا [1]

كما ترسم الشاعرة صورا كنائية تصف فيها صفات أخيها صخر ، فهي تصف علو مقام أخيها وشجاعته وتقدمه في الجيوش فكنّت عن ذلك بقولها (حمّال ألوية) لأنه لا يحمل الراية إلّا من تقدّم فيهم ، وتصف مغامراته وبلاءه في الحرب بقولها (هبّاط أودية) خاصة وأن صخر يقطع المسافات غازيا ومحاربا أعداءه ردّا لثأره ، ثم تخلص إلى وصف علو مقامه وشرف مجده في قولها (شهّاد أندية) لأنّه يحضر مجالس مشورتهم ويشرف عليها ولا يتخلف عنها ، وهي صورة بصرية حركية تمثلت في وصفها مغامراته وحروبه وحضوره مجالس القبيلة كقولها :

يَومًا بِأَوْجَدَ*مِنِّي يَوْمَ فارَقَنِي ♦ صخرٌ وَلِلدَّهْرِ إحْلاَءُ وَ إمْرَارُ

حَمَّالُ أَلوِيةٍ هَبَّـــــاطُ أوْدِيةٍ ♦ شَهَّادُ أنْدِيَةٍ للـــــــجَيْشِ جَرَّارُ[2]

كما نفت عن أخيها صفة البخل ، فقد كان معطاءا متصدقا يساعد كل قريب وبعيد سواء من أهله أو قومه فكنت عن ذلك بقولها (ولا جامد جعد اليدين)، وهي صورة بصرية متحركة تتمثل في العطاء الذي كان يتميز به صخر فصدره منشرح دائما لمن جاء طالبا منه فلا يرده في قولها :

أقُول ،أبَا حسَّان : لاَ العَيْشُ طَيبٌ ♦ وكَيْفَ وَقَدْ أُفْرِدْتُ مِنكَ يَطِيبُ

فَتَى السِّنِ كهْلُ الحِلْمِ لاَ مُتَسرِّعٌ ♦ وَلاَ جَامِدُ جَعدُ اليـَدينِ جَدِيبُ*[3]

كما عرضت الخنساء كرم أخيها وعدم بخله ، فصفت لنا أخاها الكريم الذي ينفق دائما ، وله أخلاق حسنة فكنّته بقولها (طويل الباع) وهي صورة بصرية حركية تمثلت في ذكر جميل صفاته وأجلّ أفعاله المتمثلة في عطاءه وكرمه وإخلاصه لقومه وذويه في قولها :

(1) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص31 . * النجاد : حمائل السيف / * العماد : ما يسند به والبناء الرفيع .

(2) نفسه : ص 46 . * بأوجد : أكثر وجدا وحزنا .

(3) نفسه : ص 19 . * جديب : الممحل الذي لا خصب فيه .

أهَاجَ لكِ الدّموعَ عَلَى ابن عمرٍو ♦ مَصَائبُ قَدْ رُزِئْتِ بِهاَ فَجُودِي

عَلَى فَرْعٍ رُزِئْتَ بِهِ خُنَـــــاسُ ♦ طَوِيلِ البَاعِ فَيّـــَاضٍ حَمِيدِ[1]

وتواصل الخنساء حديثها عن كرمه فتصفه بحسن البدر ، فتصف لنا أحسن الصفات والمكارم التي يتصف بها صخر ، فهو الحسن الأبيض من كل شيء بقولها (الأغر) وهي كناية على كرم أفعاله وشرفه ، كما وصفت إشراق وجهه وقدم شرفه وكرمه (بالأزهر والعتيق) وهي صورة بصرية ضوئية تمثلت في وصفها إشراق وجه صخر بالبدر المنير في قولها :

مَا بَالُ عَيْنَيْكِ مِنْهَا دَمْعُهَا سَرَبُ ♦ أرَاعَهَا حَزَنٌ أمْ عَـــادَهَا طـــَرَبُ

أمْ ذِكْرُ صَخْرٍ بُعَيْدَ النَّومِ هَيَّجَهَا ♦ فالدَّمْعُ مِنْـــــهَا علَيْهِ الدَّهرَ يَنْسَكِبُ

أغَرّ ،أزْهَرُ، مِثْلُ البَدْرِ صُورَتُهُ ♦ صَافٍ ، عَتِيقٌ ، فَمَا فِي وَجْهِهِ نَدَبُ*[2]

***

(1) المصدر السابق: ص 36 ، 37 .

(2) نفسه : ص 13 . * الندب : أثر الجرح .

2 - 3 - في الموسيقى :

2 - 3 - 1 - المستوى الصوتي :

يعتمد المستوى الصوتي على دراسة علم الأصوات ، هذا العلم الذي يعتبر من أهم العلوم التي تم دراستها من قبل كثير من العلماء كسيبويه ، ابن جني وغيرهما من الذين تعمقوا في دراسته ، ويمكن ربط ظهور الدرس الصوتي العربي بنشأة الدراسات اللغوية العربية التي يمكن أن يؤرخ لبدئها بنزول القرآن الكريم وتدوينه وتلاوته فهو " العلم الذي يبحث في الأصوات المنطوقة من حيث نطقها وانتقالها وإدراكها وأثر بعضها على بعض إذا تجاورت "[1] .

والشاعر عند نسجه لقصائده يعتمد على اللغة التي هي في حقيقتها أصوات أو مقاطع صوتية فالصوت هو البنية الأساسية لأي لغة من اللغات ، كما أنه المادة الخام لإنتاج الأصوات ويتجلى ذلك في قول ابن جني : " اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته " [2]. باعتبار أن اللغة أصوات منطوقة تنتجها آلة النطق لدى الإنسان وتستقبلها أذن السامع فلكل صوت مخرج سواء كان هذا المخرج من : "الحلق (ء ، ه ، ع ، ح ، غ ،خ) أو اللهاة (ق) أو الطبق (ك) والغار (ج) مابين الغار واللثة (ش ، ي) اللثة (د ،ط ، ت ، س ،ز ، ص ض ، ل ر ، ن) مابين الأسنان (ذ ، ظ ، ث) الشفة السفلى ما بين الأسنان العليا (ف) الشفتان (ب م ، و)" [3] فعند اتضاح الرؤية الإبداعية لدى الشاعر تأتي مرحلة اختيار الأصوات مع ما يناسبها من المعاني ، وذلك حسب طبيعة المعنى المراد الإفصاح عنه فالأصوات بأنواعها ترتبط بالحالة النفسية والمضامين التي يريد الشاعر أن يثيرها، فالصوت عند تجانسه مع الأصوات الأخرى يعبر عن التجربة العاطفية التي عاشها الشاعر والموقف الشعوري الذي مرّ به وعاشه في حياته .

اعتمدت الخنساء في شعرها على موسيقى داخلية وموسيقى خارجية :

(1) عبد الرحمان بن ابراهيم الفوزان : دروس في النظام الصوتي للغة العربية ، (د ، ط) ، (د، ب) ، 1428 ه ، ص 2 .

(2) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، تح حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1985 م ، ج1 ، ص 6 .

(3) المرجع السابق : ص 13 .

2 - 3 - 1 - 1 - الموسيقى الداخلية :

هي التي تحدث جرسا موسيقيا قويا ونغما مؤثرا في ثنايا القصيدة سواء كان مصدرها صوتا أو كلمة أو عبارة ، وإذا ما تأملنا شعر الخنساء وجدنا أن الحزن والألم في شعرها قد نتج عن تجربة شعرية واقعية ، إذ نجد أن شعرها محاولة انتقلت به من عالم المشاعر والأحاسيس إلى عالم الشعر بخصائصه ، فكان شعرها وثيق الصلة بعلم البديع الذي له علاقة بحزنها و ألمها وفقدها ، فالشاعر الجيد هو الذي يعيش تجربته وينفعل بموضوع قصيدته و يستطيع أن يمثل للمعنى صوتيا بحروف دالة على حالته النفسية الشعورية المحزنة والمؤلمة وذلك بتعمقه في هذه الموسيقى التي تكشف عن خفايا النص ، من خلال توظيفه للتكرار والجناس والطباق والمقابلة وغيرها ، فيكون هناك تناسبا بين المعنى والبنية الصوتية .

أ - الأصوات المهموسة والمجهورة :

اعتمدت الخنساء على الأصوات ، فوظفت في شعرها الأصوات المجهورة وهي الأصوات التي يهتز معها الوتران الصوتيان فيصفها البعض بأنها " " تتميز بالشدة أو القوة في صوتها ، ويصفها آخرون بأنها الأصوات التي تخرج من الصدر وهي : الهمزة ، الألف العين ، الغين ، القاف ، الجيم ، الباء ، الضاد ، اللام ، النون ، الراء ، الطاء ، الدال ، الزاي الظاء ، الذال ، الباء ، الميم ، الواو "[1]فوظفتهما بغرض توصيل المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي ولفت انتباهه ، فهي تريد إعلان فجيعتها ومأساتها لموت أخيها ومن ذلك توظيفها لصوت " الراء " في قولها :

يَا عَينِ مَالَكِ لاَ تَبْكِينَ تَسْكَابَا ؟ ♦ إذْ رَابَ دَهْرُ، وَكَانَ الدَّهْرُ رِيَابَا

فابْكِي أخَاكِ لأيـــتَامٍ وَأرْمَلَةٍ ♦ وابْكِي أخَاكِ ، إذَا جَاوَرْتِ أجْنَابَا [2]

كررت صوت " الراء "في البيتين ست مرات باعتباره من الأصوات القوية المتميزة بالشدة فهو يعبر عن الإيقاع النفسي الحزين، ويجعل الشاعر يبدي ما في نفسه من حزن وألم ووجع فتكراره - في البيتين - يخلق نغما إيقاعيا صوتيا يزيد من جمال القصيدة وبهاءها ويؤثر على حاسة السمع عند المتلقي ويحدث أثرا ووقعا في نفسه .

كما وظفت صوت " اللام " في قولها :

(1) منصور محمد الغامد : الصوتيات العربية ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت - لبنان ، (د ، ط) ، 1422 ه - 2000 م ، ص 90 .

(2)الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 13 .

يا عَين جُودِي بدَمْعٍ مِنْكِ مَسْكُوبِ ♦ كلؤلؤٍ جَالَ فِي الأسْمَاطِ مَثْقُوبِ

إنِّي تذَكَّرْتُهُ واللَّـــــــيلُ مُعْتَكِرٌ ♦ ففِي فُؤَادِي صَدْع غَيرُ مَشْعُوبِ[1]

كررت صوت " اللاّم " في البيت سبع مرات ، وهو صوت مجهور يدل على الشدة المصاحبة للقوة ، فتوظيفها لصوت اللام هنا كان بغرض الكشف عما في قلبها وصدرها من حزن وألم ونقل لتلك المشاعر صوتيا إلى السامع، فيتأثر بها ويشعر بقيمتها ودلالتها النفسية .

أمّا الأصوات المهموسة فهي الأصوات التي لا يهتز معها الوتران الصوتيان فيصفونها بأنها " الأصوات الضعيفة أو التي لا تخرج من الصدر ، ولكنها تخرج من مخارجها في الفم وهي : الهاء ، الحاء ، الغاء ، الكاف ، السين ، الشين ، التاء ، الصاد ، الثاء ، والفاء "[2] فالخنساء استعملتها لأنها ساعدتها على التنفيس عن نفسها المكروبة ، ومن ذلك توظيفها لصوت " الهاء " في قولها :

بَكَتْ عَينِي وَعـــــاوَدَهَا قَذَاهَا ♦ بِعُوَّارٍ فمـــــَا تَقْضِي كَرَاهَا*

عَلَى صَخْرٍ ، وَأيُّ فتًى كصَخرٍ ♦ إذَا مَا النَّابُ*لمْ تَرْأمْ*طِلاَهَا* [3]

تكرر صوت "الهاء" في البيتين أربع مرّات باعتباره ، باعتباره صوت صامت مهموس مرقق الحركات في النطق وهو صوت حنجري احتكاكي يستعمل للتأوه ، فيعكس ما يختلج الصدر من الحرقة والألم والمعاناة ، لهذا اعتمدته الخنساء في شعرها كونه يعكس الواقع المرير الذي عاشته .

كما وظفت صوت " التاء " في قولها :

نِعْمَ الفَتَى كُنْتَ إذْ حَنَّتْ مُرَفْرِفَةٌ ♦ هُوجُ الرِّياحِ حَنِينَ الوُلْهِ الحُورِ[4]

تكرر صوت " التاء " في البيت أربع مرات فهو من الأصوات الصامتة المهموسة التي تميل إلى الترقيق ، وهو صوت انفجاري لثوي أسناني يكشف عن حقيقة الألم المتولد عن الفراق والحنين إلى الفقيد ، والخنساء كانت دائمة الحنين والشوق إلى أخيها صخر فوظفته ـ صوت التاء ـ لأنه يعبر ويعكس ما يختلجها ويجول في ثنايا صدرها.

(1) المصدر السابق : ص 18 .

(2) منصور محمد الغامد : الصوتيات العربية ، مرجع سابق ، ص 91 .

(3) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص115 . * الكرى : النوم / * الناب : الناقة المسنة / * لم ترأم : لم تعطف / * الطلا : الولد .

(4) نفسه : ص60 .

ب ـ التكرار :

يعتبر التكرار ظاهرة صوتية موسيقية ومعنوية تقتضي الإتيان بلفظ متعلق بمعنى ثم إعادة اللفظ مع معنى آخر في الكلام نفسه ، ويعد عنصرا مهما من عناصر الإيقاع الداخلي وإحدى الأدوات الجمالية التي يعتمدها الشاعر في التعبير عن مشاعره ، باعتباره ينشأ عن حالة شعورية تسيطر على الشاعر فتنعكس هذه الحالة على إنتاجه الشعري ، وهو أسلوب تعبيري يصور اضطراب النفس وتصاعد انفعالات الشاعر ويكشف عن وجدانه وخباياه وأبعاده النفسية بغرض الإبلاغ والإفصاح عن حالة الشعور التي تجول في نفسه وتأكيد معانيه وترسيخها في ذهن المتلقي فيحقق انسجاما موسيقيا داخل نصه الشعري ويضفي تلوينا جماليا على الكلام .

فالقارئ لشعر الخنساء يلاحظ أن قصائدها لا تكاد تخلو من التكرار الذي هو سمة بارزة في شعرها عبرت من خلاله بصدق عن تأجّج حرقة فؤادها على فقدان صخر ، وهو يشمل الحروف والأصوات والصيغ الصرفية والتراكيب باعتباره يمثل ظاهرة موسيقية غرضه تأكيد المعنى وتقويته .

ـ تكرار الصوت :

الخنساء كرّرت الأصوات في شعرها ،فولّدت نغمة متميزة ناتجة عن تماثل الأصوات وتجانسها ، ذلك أن وحدة موضوعها وانفعالها من حزن وألم وتفجع وفقد قد أهّلها لتخرج في تناغم صوتي يحدث جرسا موسيقيا يلفت انتباه السامع ، ومن ذلك توظيفها لصوتي " اللام والراء " في قولها :

فَقُلتُ لمَا رأيتُ الدَّهْرَ لَيسَ لَهُ ♦ مُعَاتبٌ وَحْدَهُ يُسْدِي ونِيَّارُ*

لَقَدْ نَعَى ابنُ نَهيكٍ لِي أخا ثِقَةٍ ♦ كَانَتْ تُرَجَّمُ عَنهُ قَبلُ أخْبَارُ

لَمْ تَرَهُ جارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا ♦ لريبَة حينَ يُخْلِي بَيتَهُ الجَّارُ[1]

كرّرت صوتين هما " الراء واللام " فتكرر صوت " اللام " في هذه الأبيات أحدى عشر مرة أمّا صوت "الرّاء" فتكرر تسع مرّات باعتبارهما صوتان صامتان مجهوران فتوظيفهما أحدث إيقاعا نغميا لوجه الشبه الذي بينهما وهو مخرج اللثة (ذلق اللسان) ، وقوة الوضوح

(1) المصدر السابق : ص 47 . * نيّار : من نيّر الثوب جعل له نيرا خلاف أسداه .

السمعي فكان لهما وقع مميز في النفس ، فالخنساء وظفتهما لتفجر قريحتها النفسية الحزينة والمتألمة .

ـ تكرار الحروف :

لتكرار الحرف دور مهم ، كونه يعكس جانبا من موقف نفسي أو انفعالي في نفس الشاعر، فكل حرف يحمل في ثناياه دلالات نفسية تكشف عن حالة الشاعر ، والخنساء قد كررت الحروف في شعرها ومن ذلك قولها :

مَا بَالُ عَينيْكِ مِنهَا دَمْعُهَا سَرَبُ* ♦ أرَاعَهَا حَزَنٌ أمْ عَادَهَا*طَرَبُ*

أمْ ذِكْرُ صَخْرٍ بُعَيدَ النَّومِ هيَّجَهَا ♦ فالدَّمْعُ مِنهَا عَلَيهِ الدَّهْرَ يَنْسَكِبُ[1]

كررت في البيتين صوت (الراء) ست مرات ، وصوت المد (الألف) تسع مرات ، فصوت الراء من الحروف الصامتة وهو صوت مكرر مجهور انفجاري ينطق بتكرير ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعا فيحدث نوعا من الوضوح السمعي ، أما صوت المد (الألف) فيمتلك قوة إسماع عالية ، يوظفه الشاعر ليفجر ما في صدره من عواطف بغية إيصالها إلى المتلقي وهذا ما نجده عند الخنساء في توظيفها لهذين الصوتين اللذين استطاعت من خلالهما تفجير ما بداخلها من عواطف الحزن والألم على فقدان صخر وذلك بالبكاء عليه وعدم نسيانه ولكونهما يملكان قوة إسماع قريبة من بعضهما البعض بغرض توصيل فجيعتها ومأساتها للمتلقين ، فخلقا نغما موسيقيا سريعا وقويا يتماشى مع سرعة بكاءها وحزنها.

ـ تكرار اللفظ :

إن الخنساء من كثرة حبها لأخيها ظلّت تتذكره بعد موته فكررت لفظة "ذكرت" في قولها :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَمسِ صَخرًا ♦ وأذكرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ[2]

تكرار لفظة " ذكرت " في البيت تدل على تعلقها بأخيها الذي مات ، فارتبط التّذكر عندها بالبكاء وذكر جميل صفاته من كرم وشجاعة وهي نغمة تدل على حزنها وما عانته من آلام ومآسي في حياتها .

وتصور الخنساء المصيبة التي حلت بها وأصابتها لمقتل صخر في قولها :

(1) المصدر السابق : ص 17 . * السرب : السائل / * عادها : زارها / * طرب : حزن .

(2) نفسه : ص 72 .

مُصِيبَتُهُ*عَلَيَّ وَرَوْعَتْنِي ♦ فَقَدْ خَصَّتْ مُصِيبتُهُ وَعَمَّتْ[1]

كررت لفظة " مصيبة " في البيت زيادة في التفجع وتأكيدا لمشاعر الحزن والأسى لديها فولّدت جرسا موسيقيا كشفت من خلاله عن مشاعرها الحزينة ونفسها المتألمة التي تعاني مرارة الفقد .

ونظرا لتعلق الخنساء بأخيها ظلت تكرر اسمه على لسانها ومن ذلك قولها :

عَلَى صَخرٍ ، وأيُّ فتًى كَصَخْرٍ ♦ لِعَانٍ* عَائلٍ* غَلَقٍ بوَتْرٍ* [2]

كررت الخنساء اسم الممدوح " صخر " تنويها به وإشارة بذكره وتعظيما وتفخيما له في القلوب والأسماع ، ولحسن تفضيله وتقديره ولكونها تريد الإشادة باسم ممدوحها وشدة حبها له وتلذذها بذكر اسمه على لسانها وكأنها تجد في ترديد اسمه شفاء لما في نفسها من شجن وألم .

ـ تكرار المطالع :

تكررت بكثرة ، حيث ارتبطت بالبكاء ، ومطالبة عينيها بالبكاء والجود بالعيون وعدم البخل ، باعتباره يكشف عن مأساة الشاعرة ويعكس رغبتها في إبراز حزنها وفجيعتها وحجم الخسارة التي لحقت بها بعد رحيل أخيها صخر الذي كان مصدر سعادتها في حياتها ومن ذلك قولها :

يَا عَيْنِ جُودِي بالدُّمُوعِ ♦ فَقَدْ جَفَتْ عَنكِ المَرَاوِدْ*

وقولها : يَاعَيْنِ جُودِي بالدُّمُوعِ ♦ عَلَىَ الفَتَى القرْمِ الأغَرْ

وقولها : يَا عَيْنِ جُودِي بالدُّمُوعِ الغِزَارْ ♦ وابْكِي عَلَى أرْوَعَ*حَامِي الذمارْ*[3]

غلب على شعرها البكاء والتفجع لأنها سارت على وتيرة واحدة ألا وهي وتيرة الحزن والأسى وذرف الدمع تأكيدا على ألمها ووجعها الذي أصابها ،وأنها لم تشفي غليلها في إثبات حزنها فكررت صورة البكاء لأهميتها وعلاقتها الوطيدة بنفسها ومواقفها فهو ـ التكرار ـ يدفع القصيدة نحو التقدم كلما أحست الشاعرة بالضعف والألم .

(1) المصدر السابق : ص 24 . * مصيبته : فاعل جلت أي عظمت .

(2) نفسه : ص 43. * العاني : الأسير / * العائل : الفقير / * غلق بوتر : لا يستطيع أخذ ثأر له .

(3) نفسه : ص 34 ، 57 ، 60 .* المراود : ج مرود وهو الميل الذي يكتحل به / * الأروع : الأشد جمالا / * الذمار : ما يحق على المرء أن يحميه .

استطاعت الخنساء أن تعبر بصدق عن أحزان وآلام النفس من خلال جمال نصها الشعري باستخدامها للموسيقى كالتكرار بأنواعه ، الذي كانت وظيفته صوتية مولدة للإيقاع فوقّعت انفعالاتها وأثّرت في سامعيها وفسحت المجال لخطابها الشعري للتجلي و الإرتقاء .

لقد كثرت المحسنات البديعية في شعر الخنساء ، فالمطّلع على ديوانها خاصة المقطوعات المعبرة عن الحزن والألم يلمس مثل هذه المحسنات التي استعملتها لتوصل بها أحاسيسها ومشاعرها اتجاه المصيبة التي ألمت بها ، فالبديع في شعرها ينسجم مع شخصيتها كامرأة شاعرة نائحة ، ويستجيب لروح الموسيقى الذي كانت تطلبه وتستدعيه فيزيد في الشعور بالفقدان والمصيبة ، فهي لم ترد البديع لمجرد البديع وإنما استجابة لمشاعرها وأحاسيسها .

ج ـ الطباق و المقابلة :

وظفت الخنساء في شعرها هذين الفنين البديعيين في كثير من شعرها ، فهما يمثلان ثنائيات ضدية عاشتها في حياتها كالحياة والموت ، القوة والضعف ، فتوظيفهما يشعر المتلقي بتضاد الوجود الإنساني في ذاته ، فوظفتهما توظيفا إبداعيا تتقصَّى من خلالهما صفات أخيها صخر وتكشف عن الحالة الشعورية التي عاشتها والإحساس بالفاجعة الناتجة عن الفقد فاستعملت الطباق في شعرها ليسهم في بناء النغم الموسيقي من خلال الجرس الموحي والمنبعث من معنى المتضادين كقولها :

أعِينيَّ جُودَا وَلاَ تَجْمُدَا ♦ ألاَ تَبْكِيانِ لصَخْرِ النَّدَى [1]

تتحدث الخنساء في هذا البيت عن أخيها صخر الذي اختطفه الموت ، فتحث عينيها أن تجودا بالدمع الغزير ليتدفق حزنا عليه ، فطابقت بين " جودا ولاتجمدا " وهو طباق السلب،فاللفظتان تشتركان من صوتي "الجيم والدال" وهما صوتان صامتان انفجاريان مجهوران يشتركان في المخرج اللثة ، فالجيم لثوي حنكي (الغار) والدال من نطع الغار الأعلى (بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة) ، كما وظفت صوتا المد (الألف والواو) باعتبارهما من الحركات الطويلة ، فتوظيفها لهذه الأصوات في هاتين اللفظتين كان بغية تفجير آلامها وأحزانها وكل ما يختلج صدرها لذلك لجأت للدموع لتخفف من آلامها وتزيل أحاسيس الجزع

(1) المصدر السابق : ص31.

والحزن عنها، فمدّت صوتها حتى توصل تلك المشاعر والعواطف للمتلقين ، ممّا ولّد نغما موسيقيا يشد إليه الأسماع والآذان .

كما تخاطب الخنساء عينها وتحثها على البكاء من أجل أخيها صخر الذي كان جميل الخصال كريم الأخلاق ، يعين كل من يقصده في قولها :

يَا عَينُ فابْكِي فتًى مَحضًا ضَرَائِبُهُ ♦ صَعْبًا مَرَاقِبُهُ سَهْلاً إذَا رِيدَا [1]

طابقت بين " صعبا وسهلا " وهو طباق الإيجاب ، فلفظة " سهلا " تكونت من أصوات (س ه ، و) باعتبارهم من الأصوات الصامتة المرققة الحركات ، فصوتا السين والهاء مهموسان يختلفان في المخرج فالأول لثوي (باعتماد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدمته باللثة العليا) والثاني من الحلق ،واللام مجهور مخرجه اللثة (من ذلق اللسان) .

أمّا لفظة (صعبا) تكونت من أصوات (ص ، ع ، ب) وهي أصوات صامتة فصوت الصاد مهموس مخرجه اللثة (باعتماد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدمته باللثة العليا) وصوتا العين والباء مجهوران يختلفان في المخرج فالعين مخرجه الحلق (أوسطه) والباء الشفتان ، وصوت المد (الألف) باعتباره حركة طويلة ، فوظفت هذه الأصوات في هاتين اللفظتين لتكشف عن فجيعتها لموت صخر بالبكاء عليه وذكر مكارمه ومدى صعوبة الحياة بعد موته بعدما كانت سهلة ، فأحدث ذلك إيقاعا موسيقيا حزينا ومؤثرا أوحى بمرارة المأساة التي حلت بها .

و الخنساء لا تكاد تفارقها ذكرى صخر ، فهي تذكره في ذهابه إلى الغزوات صباحا وفي عودته مساءا بالغنائم وقراه للضيوف فتصفه بالبأس والجود في قولها :

يُذَكِّرُنِي طُلوعُ الشمسِ صَخرًا ♦ وَأذكُرُهُ لِكلِّ غُروبِ شَمس [2]

طابقت بين " الطلوع والغروب " وهو طباق الإيجاب ، فلفظة " طلوع " تكونت من أصوات (ط ، ل ، ع) وهي أصوات صامتة ، فصوت الطاء مهموس انفجاري مخرجه اللثة من نطع الغار الأعلى (بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا مقدم اللثة) وصوت اللام مجهور انفجاري مخرجه اللثة (ذلق اللسان) وصوت العين مجهور مخرجه الحلق (أوسطه) أمّا لفظة " غروب " تتكون من أصوات (غ ، ر ، ب) وهي أصوات صامتة مجهورة ، أمّا

(1) المصدر السابق : ص 38 .

(2) نفسه : ص 72 .

المخرج فيختلف فصوت الغين مخرجه الحلق (أدناه) وصوت الراء مخرجه اللثة (من رأس اللسان بتكرار ضرباته تكرارا سريعا) والباء الشفتان ، وصوت المد (الواو) باعتباره حركة طويلة ، فوظفت هذه الأصوات في هاتين اللفظتين لتصور لنا تجدد همومها وأحزانها بتجدد طلوع الشمس وغروبها علاوة ما في الغروب من ظلمة وسواد يُشيعان في النفس خوفا وهمًا تتناسب مع جو الحزن .

أمّا توظيفها للمقابلة في قولها :

فَإنْ تَصْبِرِ النَّفس تُلْقَ السّرورَ ♦ وإنْ تَجْزَعِ النَّفْسُ أشْقَىَ لهَا[1]

المقابلة في لفظتي " تصبر النفس " و " تجزع النفس " وهما عبارتين متقابلتين ومتضادتين في المعنى ، فقد بدأتهما ـ تصبر وتجزع ـ بنفس الصوت وهو التاء باعتباره من الأصوات الصامتة المهموسة الإنفجارية مخرجها اللثة (بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة) ، أمّا باقي الأصوات فنلاحظ الإختلاف فيما بينها ومن ذلك توظيفها لأصوات(الصاد والباء ، الراء ، الجيم ، الزاي ، والعين) باعتبارهم من الأصوات الصامتة المجهورة ، ما عدا صوتي الباء والصاد مهموسان يختلفون في المخرج فأصوات (ر ، ز، ص) مخرجهم من اللثة و (العين) من الحلق و(الجيم) من الغار و(الباء) من الشفتان وقد استعملتهم الخنساء لأنها ترى أن النفس التي تتحلّى بالصبر تنال وتجزع على ما صبرت عليه إذ تسكنها الراحة والسكينة والسرور ، خلاف النفس التي تصاب بالجزع واليأس والقنوط فالشخص الذي يصاب بالجزع تكون حياته شقية ومتعبة نفسيا وجسديا .

د ـ الجناس :

وظفت الخنساء الجناس في شعرها باعتباره يربط بين الألفاظ وما فيها من ميزة صوتية حتى تأثر في المتلقي ، إذ يلفت انتباهه بجرسه القوي وإيقاعه المؤثر لما يبعثه من نغم موسيقي لتشابه الأصوات في الألفاظ المتجانسة ويعبر عن وجدان الشاعر ويزيد في إغناء موسيقى النص ، فهي استعملته لتجمع بين القيمة الدلالية والصوتية لتحقق في لغة نصها مزيدا من التأثير والتشويق ومن ذلك قولها :

(1) المصدر السابق : ص ، 100 .

فَلَسْتُ أُرَزَّا* بَعْدَهُ بِرَزِيّةٍ ♦ فَأَذْكرَهُ إلاَّ سَلَتْ* وَتَجَلّتِ*[1]

وقع الجناس بين " أرزا و رزية " وهو جنا ناقص ، حيث وقع الإختلاف بينهما في المعنى فأرزّا بمعنى أصاب ، والرزيّة المصيبة ، وقد اشتركا في صوتي الراء والزاي ، الذي تكرّر كل منهما في كل كلمة باعتبارهما صوتان صامتان مجهوران ، يشتركان في المخرج اللثة علما أن الراء يخرج من(ذلق اللسان بتكرار ضرباته تكرارا سريعا) والزاي باعتماد (طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدمته باللثة العليا) ، وظفتهما لتدل على شدة المصيبة التي أصابتها والأحزان التي ألمّت بها.

وتواصل الخنساء حديثها فترى أن الحياة بعد صخر أصبحت غير حسنة ، لأن فقدانه جعلها غير سارة وممتعة ويتجلى ذلك في قولها :

أقُولُ، أبَا حَسَّانَ: لاَ العَيْشُ طَيِّبٌ ♦ وَكَيْفَ وَقَدْ أُفْرِدْتُ مِنْكَ يَطِيبُ [2]

وقع الجناس بين " طيّب ويطيب " وهو جناس ناقص ، تختلف اللفظتان في المعنى فطيّب في البيت الأول تعني الحسن ولسبقها بالنفي أصبحت غير حسن أي لا يطيب لها العيش بعد موته ففقدت لذة العيش ، أمّا يطيب فتعني حلا ولذّ ، كما أنهما يشتركان في الأصوات المشكلة لكل كلمة منهما وهي : الطاء والياء والباء وهي أصوات صامتة فصوت الطاء مهموس مخرجه اللثة (بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة) وصوتي الياء والباء مجهوران فالباء مخرجه الشفتان والياء ما بين الغار واللثة ، وظفتهما الخنساء لتدل على المأساة التي حلّت بها والمعاناة التي أوقدت النيران في قلبها ومرارة العيش والشعور باليأس والفقد لموته.

وقولها :

لاَ تَخَلْ أنَّنِي لَقَيْتُ رَوَاحا ♦ بَعْدَ صَخْرٍ حَتَّى أتَبْنَ نُوَاحَا [3]

تختلف اللفظتان في المعنى فالرواح بمعنى الراحة ، والنواح بمعنى البكاء وهو جناس ناقص وقد اشتركا في صوتي الواو والحاء باعتبارهما من الأصوات الصامتة ، المرققة الحركات ويختلفان في كون الواو صوت مجهور مخرجه الشفتان ، والحاء مهموس مخرجه الحلق

(1) المصدر السابق: ص 23 . *أرزّا : أصاب / * سلت : نسيت وطابت نفسها عن كل أمر / *تجلت : انكشفت .

(2) نفسه : ص 19 .

(3) نفسه : ص 28 .

(أوسطه) وكلا الكلمتين ارتبطا بصوت المد (الألف) حركة طويلة لتمد صوتها لتدل على المصيبة التي حلّت بها والأحزان التي نكأت فؤادها والآلام التي أصبحت ملازمة لنفسها وحياتها حتى تصل عواطفها إلى المتلقين .

هـ ـ التصريع:

وظفت الخنساء في شعرها هذا اللون من الموسيقى ، باعتباره يحدث طربا ونغما موسيقيا في أذن السامع ، فتساير الموسيقى حالة النفس المضطربة والحزينة وتكشف عن خباياها ، لذلك نجدها تطالب عينها بانهمار الدموع والفيضان دون توقف حزنا على موت أخيها قائلة :

ألاَ يَا عَيْنِ فانْهَمِرِي بِغُدْرٍ* ♦ وفِيضِي فَيْضَةً منْ غيرِ نَزْرٍ[1]

التصريع في كلمتي " غدر و نزر " وهما كلمتان مسجوعتان وظفتهما لتدل على حزنها فهي تظل باكية ونائحة على موته ، ينتهيان بصوت الراء الذي هو صوت صامت مجهور انفجاري مخرجه اللثة (من ذلق اللسان بتكرار ضرباته تكرارا سريعا) ، ويحدث نوعا من الوضوح السمعي ، فالخنساء وظفته ـ صوت الراء ـ لأنه يستطيع أن يعبر عما يعتري نفسها من الحزن والألم الذي يحرق فؤادها ويشعرها بمرارة العيش ، ويكشف عن معاناتها ومأساتها . فالتصريع أحدث نغما موسيقيا تطرب له أذن السامع ، فيشعر بمرارة تلك العواطف الجياشة التي أصابت الشاعرة .

وتواصل الخنساء مخاطبة عينيها وتحثهما على مزيد من الدموع حتى تفيض عينيها من كثرة الانهمار حزنا وحرقة على فقدان صخر في قولها :

أيَا عَيْنيّ ويْحَكُمَا اسْتَهِلاّ ♦ بِدَمْعٍ غَيْرِ مَنْزُورٍ وَعُلاَ[2]

التصريع في كلمتي " استهلا وعلا " وهما كلمتين مسجوعتين ، وظفتهما لتدل على شدة حزنها واستمرار بكاءها على أخيها الذي ترك فراغا في حياتها ممّا جعلها تشعر باليأس لفقده موظفة في ذلك صوت اللام وهو صوت صامت انفجاري مجهور مخرجه اللثة (من ذلق اللسان) مرفوقا بصوت المد (الألف) وهو حركة طويلة ، استطاعت من خلالهما مد صوتها لتكشف ألمها ومأساتها وجراحها التي لا تلتئم حتى توصل صوتها ومعاناتها للمتلقي .

(1) المصدر السابق : ص 43 .* الغدر : ج غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .

(2) نفسه : ص 93 .

وتستمر الخنساء في بكاءها على صخر قائلة :

ألاَ مَا لِعَينِكِ أمْ مَالَهاَ ♦ لقَدْ أخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا[1]

التصريع في كلمتي " مالها و سربالها " وهما كلمتين مسجوعتين وظفتهما لتدل على كثرة بكاءها وغزارة دموعها واستمرار حزنها وألمها لفقده ، موظفة في ذلك صوت الهاء وهو صوت صامت مهموس ومرقق الحركة مخرجه من الحلق (أقصاه) وهو حرف يستعمل للتأوه مرفوقا بصوت المد (الألف) وقد وظفتهما لتخرج ما بداخلها و تكشف عن حالتها النفسية الحزينة ، فقلبها متصدع ودموعها منهمرة لا تتوقف ألما على فقدانه .

و- الترصيع :

هو أن يكون حشو البيت مسجوعا ، ويعتبر ظاهرة صوتية لأنه يحدث طربا في أذن السامع عند سماعه لقصيدة شعرية ، فالخنساء وظّفته في شعرها لتعبر عن إيقاعها الداخلي النفسي الذي يسوده الحزن والألم والفقد رغبة في إيصال هذا الوجع النفسي إلى السامعين ومن ذلك قولها :

آبِي الهَضِيمَةِ آتٍ بالعَظِيـــمَةِ مِتْلاَفُ ♦ الكَرِيمَةِ ، لاَ نِكْسٌ وَلاَ وَانِ

حَامِي الحَقِيقَةِ ، بسّالُ الوَذِيقَةِ ، مِعْتاقُ ♦ الوَسِيقَةِ، جَلْدٌ غَيْرُ ثُنيـــانِ

شَهّادُ أنْدِيَةٍ ، حَمَّـــــــــالُ ألويَةٍ ♦ قَطَّاعُ أوْدِيَةٍ سِرْحَانُ قِيعَانِ[2]

الترصيع في البيت الأول يظهر من خلال الكلمات المسجوعة " الهضيمة ، العظيمة ، الكريمة "التي اشتركت في صوتي الميم والتاء باعتبارهما من الأصوات الصامتة ولكن يختلفان في كون الميم صوت مجهور مخرجه الشفتان والتاء صوت مهموس مخرجه من اللثة (بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة) ، أمّا البيت الثاني فكلمات " الحقيقة ، الوذيقة الوسيقة " اشتركت في صوتي القاف والتاء باعتبارهما من الأصوات الصامتة ولكن يختلفان في كون القاف صوت مجهور مخرجه (اللهاة) والتاء صوت مهموس مخرجه اللثة أما البيت الثالث فكلمات " أندية ، ألوية ، أودية " اشتركت الكلمات في أصوات (الألف والياء والتاء) باعتبارها من الأصوات الصامتة ، ولكن يختلف في كون الألف والياء صوتان مجهوران لكن الألف (الهمزة) مخرجها الحلق (أقصاه)والياء مخرجها ما بين الغار واللثة والتاء صوت

(1)المصدر السابق : ص 99 .

(2) نفسه : ص 111 ، 112 .

مهموس مخرجه اللثة ، فوظفت هذه الأصوات لأنها تبرز مكارم أخيها وخصاله وتعكس وجعها ومعاناتها معبرة عن تجربتها النفسية الحزينة والأليمة ، فالأبيات كلها نسيج من السجع الذي أحدث إيقاعا موسيقيا في أذن ونفس المتلقي و عكس إيقاعها النفسي الداخلي.

2 - 3 - 1 - 2 - الموسيقى الخارجية :

هي التي تحدث نغما موسيقيا يؤثر على أذن السامع ، فهي المحور الرئيسي الذي يعتمده أي شاعر في بناء قصيدته ، وتتضمن ـ الموسيقى الخارجية ـ الأوزان والقوافي والبحور والروي .

أ ـ الأوزان والبحور :

لا يمكن الحديث عن موسيقى الشعر دون تقديم الحديث عن الوزن الذي يعتبر ركنا أساسيا من أركان الشعر ، فبدونه لا تسمى القصيدة قصيدة ، ولا يصبح للبيت جمالية بل يصبح كأنه كلام منثور ، فبالوزن يتبين الفرق بين الشاعر وغير الشاعر ، لأن كل إنسان يستطيع أن ينظم جملة مفيدة أو خاطرة يعبر من خلالها عن مشاعره ، لكن الشاعر وحده من يستطيع أن يحكم كلامه بوزن ، فهو ـ الوزن ـ يعمق من مشاعره ويلهب أخيلته ويعطيه نشوة تجعله يتدفق بالصورة الحارة والمؤلمة ، و يسهل من حفظ كلامه (شعره) فيؤثر به على السامعين والقارئين ، فالوزن هو " الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري كتابة عروضية ، أو هو الموسيقى الداخلية المتولدة من الحركات والسّكنات في البيت الشعري ، وهو القياس الذي يعتمده الشعراء في تأليف أبياتهم ، ومقطوعاتهم وقصائدهم "[1] . فهذا يعني أن الشعر ليس مجرد كلام عادي وإنما هو إبداع وتصوير للمشاعر في حالات الغضب والفرح والحزن ... الخ ، وهذا يكون وفق نمط موسيقي معين معبر عن أحاسيس ، فلا وجود لشعر دون موسيقى و أوزان وقوافي .

مالت الخنساء إلى الأوزان والبحور الطويلة ذات المقاطع الكثيرة لتصب فيها أشجانها وما ينفّس عنها حزنها وجزعها وألمها، فتصدّر شعرها غالبا بالبحر الطويل الذي " يمتاز بالرصانة والجلال في نغماته وذبذباته المناسبة الهادفة (...) التي تحتاج إلى طول النفس

(1) إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 1411ه ـ 1991 م ، ص 458 .

والروية "[1] . وهو أصلح البحور لمعالجة الموضوعات الجدِّية لأن موضوعه حقيقة الإنسان الفانية أي الموت ، فالخنساء استعملت هذا البحر الطويل لتعبر فيه عن مشاعرها و أحزانها وآلامها وذكر مناقب أخيها فقد سمي طويلا " لكثرة حروفه ومفتاحه هو :

طويل له دون البحور فضائل ♦ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل[2]

كقولها :

ألاَ لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي سَوِيَّةً ♦ وكُنْتُ تُرَابًا بَيْنَ أَيْدِي القَوابِلِ[3]

ألا ليت أممي لم تلدني سوييتن ♦ وكنت ترابن بين أيدي لقوابلي

0//0// 0/0// 0/0/0// /0// 0/0// 0/0/0// /0// 0//0//

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن

وقولها :

وَخَرَّتْ عَلَىَ الأَرضِ السَّمَاءُ فطبَّقَتْ ♦ ومَاتَ جَمِيعاً كُلُّ حَافٍ وَنَاعِلِ[4]

وخررت على أرض سسماء فطببقت ♦ ومات جميعن كلل حاف وناعلي

0//0// /0// 0/0/0// /0// 0//0// /0// 0/0/0// /0// 0//0//

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعول مفاعيلن فعول مفاعلن

نلاحظ من هذا أن كلا البيتين وكلا التفعيلتين قد لحقها زحاف ، ففي تفعيلة فعولن في الشطر الثاني من البيت الأول ، وكذلك في الشطر الأول والثاني من البيت الثاني قد لحقها زحاف القطع أمّا العروض فقد لحقها زحاف القبض الذي هو حذف خامس ساكن ، فنجده في تفعيلة فعولن //0/0 أصبحت فعول //0/ .

وكذلك في تفعيلة مفاعيلن //0/0/0 أصبحت مفاعلن //0//0 .

ثم يأتي بعده البسيط الذي يعمد إليه أيضا الشعراء في الموضوعات الجدّية ، فهو قريب من البحر الطويل ، وقد تناولته الخنساء لتعلن ما اعتراها من حزن وبكاء ، فجاءت قصائدها في البحر البسيط كلها عن البكاء ، إمّا تبكي وإمّا تحث عينيها على البكاء بالدموع الغزار

(1)عبد الحميد الراضي : شرح تحفة الخليل في العروض والقافية ، مطبعة العاني ، بغداد ، (د ، ط) ، 1388 ه - 1966 م ، ص 104 .

(2) إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، مرجع سابق ، ص 98 .

(3) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 94 .

(4) نفسه : ص 95 .

أو تخاطب وتحث قومها بالبكاء على أخيها ، فقد سمي بسيطا " لإنبساط الحركات في عروضه وضربه ومفتاحه :

إنّ البسيط لديه يبسط الأمل ♦ مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن "[1]

كقولها :

بَنِي سُلَيمٍ!ألاَ تَبْكُونَ فَارِسَكُمْ ؟ ♦ خَلَّى عَلَيْكُمْ أُمُورًا ذاتَ أمْرَاس[2]

بني سليمن ألا تبكون فارسكم ♦ خللي عليكم أمورن ذات أمراسي

0/0/ 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/ 0 /// 0//0/ 0//0/

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

قولها :

مَا للمَنَايَا تُغَادِينَا وَتَطْرُقُنَا ♦ كَأنّنا أبدًا نُحْتَزّ بالقَّاس[3]

ما للمنايا تغادينا وتطرقنا ♦ كأننا أبدن نحتزز بلفاسي

0/0/ 0//0/0/ 0/// 0//0/ 0/// 0//0/0/ 0//0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن متفعلن فعلن مستفعلن فعلن

ـ نلاحظ من هذا أن كلا البيتين وكلا التفعيلتين قد لحقها زحاف ، ففي التفعيلة الأولى من البيت الأول وكذلك البيت الثاني لحقها زحاف القطع والعروض فقد لحقها زحاف الخبن الذي هو حذف ثاني جزء ساكن .

فمستفعلن /0/0//0 أصبحت متفعلن //0/0 ، وكذلك بالنسبة للتفعيلة الثانية في البيت الأول والثاني لحقها زحاف القطع ، والعروض قد لحقها زحاف الخبن .

ففاعلن /0//0 أصبحت فعلن ///0 أي أن العروض مخبونة (فَعِلُنْ) والضرب مقطوع (فَعْلُنْ) .

كما وظفت البحر الوافر في البكاء على أخيها ، وغضبها من قومها في عدم الأخذ بالثأر لأخيها فقد سمي هذا البحر وافرا " لكثرة الحركات في تفعيلاته ووفرتها ومفتاحه :

(1) إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، مرجع سابق ،ص 69 .

(2) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 71 .

(3) نفسه : ص 71 .

بحور الشعر وافرها جميل ♦ مفاعلتن مفاعلتن فعولن[1]

كقولها : ألاَ ياَعَيْنِ فانْهَمِرِي*، وقَلَّتْ* ♦ لِمَرْزِئَةٍ أُصِبْتُ بهَا تَوَلَّتْ*[2]

ألا ياعين فنـــهمري وقللت ♦ لمرزئتن أصبت بها توللت

0/0// 0///0// 0/0/0// 0/0// 0///0// 0///0//

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وقولها :

لِمَرْزِئَةٍ كَأنَّ النَّفْسَ مِنْهَا ♦ بُعَيْدَ النَّوْمِ تُشْعَلُ يَوْمَ غُلَّتْ*[3]

لمرزئتن كأنن ننفس منها ♦ بعيد ننوم تشعل يوم غللت

0/0// 0///0// 0/0/0// 0/0// 0///0// 0/0/0//

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

نلاحظ أن كلا البيتين قد لحقهما زحاف ، ففي التفعيلة الأولى من الشطر الأول من البيت الأول والشطر الأول والثاني من البيت الثاني قد لحقها زحاف العصب الذي هو تسكين خامس جزء . فمفاعلتن //0///0 أصبحت مفاعلتن //0/0/0 .

فالخنساء مع قوة انفعالها وسرعته تخيّرت لنظمها البحر السريع لتلتقي سرعة الوزن في هذا البحر مع سرعة نفسها المضطربة ، كما استوعب الخفيف والرمل هذه الحدّة والإنفعال ووظفت الكامل الذي ينسجم مع العاطفة القوية التي تصاحب الحزن الشديد نلاحظ أن درجة العاطفة عند الخنساء ما بين القوة والهدوء كان عاملا لتنوع البحور ، فعندما استكانت أحزانها وهدأت حدّة انفعالها ، كان لها في البحور الطويلة سعة تستوعب تأملاتها الحزينة الثقيلة ، أمّا البحور القصيرة فتتوافق مع لحظات الإنفعال القوي وتتماشى مع سرعة التنفس وازدياد نبضات القلب .

ب ـ القافية والروي :

تقوم القافية بدور أساسي في الشعر ، فهي شريكة الوزن في الإختصاص بالشعر بحيث لا يسمى الكلام شعرا حتى يكون له وزن وقافية ، فهي تعطيه نغمة موسيقية رائعة

(1)محمد بن حسن بن عثمان : المرشد الوافي في العروض والقوافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1425 ه ـ 2004 م ، ص 65 .

(2) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 23 . *انهمري : سيلي وصبي الدمع / * قلت : أي قلت حالة الإنهمار / * تولت : لزمت لا تفارق .

(3) نفسه : ص 24 .* غلّت : إذا عطشت وقيدت .

و تضبط المعنى وتحدده وتشد البيت شدًّا قويا بكيان القصيدة العام فهي " المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة ، وهي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت فأول بيت في قصيدة الشعر « الملتزم » يتحكم في بقية القصيدة من حيث الوزن العروضي ومن حيث نوع القافية "[1] ، فهي لها دور مهم في موسيقى الشعر ، حيث أنها تلك الحروف التي يلتزمها الشاعر في آخر كل بيت تبدأ من آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن مع الحرف المتحرك الذي قبله ، أما الروي فهو الحرف الذي يختاره الشاعر من الحروف الصالحة فيبني عليه قصيدته ويلتزمه في جميع أبياتها و إليه تنسب القصيدة .

لقد حافظت القصائد العربية على وحدة الوزن والقافية ، والخنساء واحدة منهما حيث نجد كل قصيدة عندها لمّا تبدأ حتى تنتهي وهي على نفس القافية والروي فمثلا في البيتين الأولين من البحر الطويل ـ الذي سبق ذكرهما ـ نجد القافية تتمثل في المقطع الصوتي الأخير من البيت وهي " وابل " " /0//0 " وهي صامت متحرك مسبوق بحركة قصيرة ، وأيضا مطلقة لأنها تنتهي بمتحرك، التي استطاعت الخنساء من خلالها أن تطلق تلك الهموم والأحزان والآلام الموجودة في صدرها ، أما الروي فيتمثل في حرف " اللام " الذي أشبع بياء لمناسبتها الكسرة ، وهي من الحروف الصامتة المرققة الحركات ، مجهورة تتميز بقوة الوضوح السمعي وهي بين الإنفجار أوالإحتكاك ، مخرجها من اللثة من ذلقها ، وقد وظفتها الخنساء لأنها استطاعت من خلالها بثّ أحزانها وإيصالها إلى السامع حتى يشعر بألمها وأساها .

أما بالنسبة للبيتين الثانيين من البحر البسيط فتمثلت القافية في " راس " " /0/0 " وهي صامت متحرك مسبوق بحركة طويلة ،وهي أيضا مطلقة ، أما حرف السين فهو روي القصيدة وقد أشبع بياء لمناسبتها الكسرة ليمتد الصوت وهو من الحروف الصامتة المرققة الحركات وصوت مهموس ينطق باعتماد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدمه باللثة وهو صوت لثوي مخرجه (اللثة) ، أما الألف الذي قبل حرف الروي هو " حرف الردف " وسبب وجودها يكمن في مد الصوت ومنه التأوه ، وهذا يكون في الحالة الكئيبة الحزينة للتأثير وهو مطابق لحالة الخنساء التي وظفته لتمد صوتها وهي باكية نائحة معبرة عن عاطفتها ووجدانها لموت صخر والبيتين الأخيرين من البحر الوافر نجد القافية تتمثل في

(1) عبد الله درويش : دراسات في العروض والقافية ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ،ط3 ، 1407ه - 1987 م ، ص 93 .

المقطع الصوتي الأخير من البيت " ولّت " " /0/0 " وهي صامت ساكن مسبوق بحركة قصيرة ، وهي أيضا مقيدة لأنها تنتهي بساكن ، أما الروي فهو حرف " التاء " وهو من الحروف الصامة ، صوت انفجاري مهموس مخرجه من اللثة (صوت لثوي) من نطع الغار الأعلى ، وقد وظفته لأنها فجّرت من خلاله كل المصائب التي ألمّت بها ، فجسدت الواقع النفسي والشعوري الذي عاشته .

***

2 - 3 - 2 - المستوى الصرفي :

شعر الخنساء غني بالأوزان الصرفية سواء أكانت خاصة بالصفة المشبهة أو صيغ المبالغة وهذا مناسب للتعبير عن آلامها وأحزانها .

2 - 3 - 2 - 1 - الصفة المشبهة :

حيث وظفت في شعرها أبنية الصفة المشبهة التي تدل على ثبات الصفة في ذات الموصوف ، وهي هنا تصف أخاها صخر بمختلف الصفات اللازمة لشخصيته ، والتي تكون على وزن " فعيل " مثل قولها :

أعِينَيَّ جُودَا وَلاَ تَجْمُـــدَا ♦ ألاَ تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَّدَى ؟

ألاَ تَبْكِيَانِ الجَرِيءَ الجَمِيلَ ♦ ألاَ تَبْكِيـــَانِ الفَتَى السَيِّدَا ؟

فجاءت " جريء " على وزن " فعيل " وهي لفظة دالة على شجاعته وجرأته في مواقفه وحروبه ، وهي صفة ملازمة لشخصيته.

وقولها :طويلَ النِّجادِ رَفيعَ العِمَادِ ♦ سادَ عَشِيرَتَهُ أمْرَدَا [1]

فجاءت "طويل ، رفيع " على وزن " فعيل " وهي تدل على طول قامته ، وسيادته وشرفه في قبيلته ، باعتبارها صفات كانت ملازمة له ومعروفا بها .

في هذين البيتين نجد الخنساء تتحدث عن أخيها وأجل خصاله مشيرة في ذلك بضمير الغائب " هو " لتدل على موته وفقده .

2 - 3 - 2 - 2 - صيّغ المبالغة :

تمثل صيغ المبالغة ظاهرة صوتية شديدة الوقع في آذان السامعين ، لجأت إليها الخنساء و أكثرت منها ، خاصة في استقصاء صفات صخر ، فكانت صيغتا " فعّال التي تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والتكرار ، والإعادة والتجدد ، والمعاناة والملازمة ومفعال التي يكون الأصل فيها للآلة كالمفتاح وهو آلة الفتح ..."[2] أكثر صيغتين قد تكررتا في شعرها مثل قولها :

(1) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 31 .

(2) فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية العربية ، دار عمار ، الأردن ، ط 2 ، 1428 ه - 2007 م ، ص 96 ، 98 .

خَطَّابُ مَحْفِلَةٍ ، فَرَّاجُ مَظْلِمَةٍ ♦ إنْ هَابَ مُعْضِلَةٌ سَنَّى لَهَا بَابَا

حَمَّالُ أَلْوِيَةٍ ، قَطَّاعُ أَوْدِيَـــةٍ ♦ شَهَّادُ أَنْجِيَةٍ ، للوِتْرِ طَلاَبَـــا [1]

في البيت الأول جاءت ألفاظ " حمّال ، قطّاع ، شهّاد " على وزن فعّال ، فالخنساء تمدحه بذكر أجل صفاته التي تميزه عن غيره في خدمة قومه ومساعدته لهم ، فهو حامي القوم وقائدهم في الحروب ، لأنه كان يقطع المسافات والأودية محاربا أعداءه وردّا لثأره ،وكان يحضر مجالس مشورتهم ويشرف عليها ، فنجد هذا البيت يغلب عليه صوت اللام وهو صوت مجهور انفجاري مخرجه اللثة (ذلق اللسان) ، إضافة إلى أن الشّدة على مستوى (عين الفعل) لها دلالتها وهي الضغط على الصوت من أجل التنفيس ، فالخنساء استعملتها لتنفس عما يختلج صدرها من آلام وأحزان وأوجاع من خلال إخراج هذه الأصوات في شكل صفات تمدح بها أخاها صخر .

وفي البيت الثاني جاءت ألفاظ " خطّاب ، فرّاج " على صيغة فعّال فهي تذكّر بأن صخرا كان خطيب في مجالس قبيلته ومفرّجا لهمومهم ومشاكلهم ، فأصبحت هذه المهام وكأنها حرف يؤديها في قبيلته ، فنجد في هذا البيت صوتي" الميم والباء " وهما صوتان شفويان مجهوران ، والجهر هو الصوت المرتفع وكأن الخنساء تصيح بأعلى صوتها من كثرة ما لازمها الضغط والحزن والأسى بعد موته وخوفا من فقدان هذه الخصال ونسيانها .

نَحَّارُ رَاغِيَةٍ مِلْجَاءُ طَاغِيَةٍ ♦ فَكَّاكُ عَانِيَةٍ لِلعَظْمِ جَبَّارُ[2]

جاءت ألفاظ " نحّار ، فكّاك ، جبّار " على صيغة فعّال ، وقد وظفتها لتدل على كرم وجود صخر ، وأعماله التي كان يقوم بها كذبح النوق للمحتاجين وفكّ للأسرى حتى أصبحت حرفته التي لا يتخلى عنها موظفة في ذلك صوتي " اللام والراء " باعتبارهما صوتان صامتان انفجاريان مجهوران ، لهما نفس المخرج وهو اللثة (من ذلق اللسان) ، ويمتازان بقوة الوضوح السمعي لذلك لجأت إليهما كونهما الأقرب للتعبير عن معاناتها و إيصال مكارم أخيها إلى المتلقين .

في الأبيات السابقة تحدثت الخنساء عن أهم ما يميز أخيها من صفات عرف بها مشيرة إلى ذلك بضمير الغائب المضمر " هو " في قولها (باسل ، ضيغم ، جواب ، حمال ، نحار)

(1) المصدر السابق : ص 14 .

(2) نفسه : ص 46 .

دلالة على موته واستمرار خصاله والفراغ الذي تركه في داخلها حتى أصبحت تحس بأن الحياة بائسة لفقده .

فالكلمات الواردة على صيغة فعال جاءت على جرس موسيقي واحد وبنية تركيبية واحدة ، كررتها الخنساء لتبين مكانة أخيها في نفسها وفي قومه وأنه مختلف ومميز عن جميع أفراد قبيلته فوصفته بأجمل الصفات والأخلاق .

أمّا صيغة " مِفْعَال " فقد وردت في قولها :

كَأَنَ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَـــطَرَتْ ♦ فَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى الخـــــَدَّينِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَاسُ فَمَا تَنْفَكُ ما عَمَرَتْ* ♦ لَهَا عَلَيْهِ رَنِيـــنٌ وَهِيَ مِقْتـــــــــَارُ*

صُلْبُ النَّحِيزَةِ*وَهّابٌ إِذَا مَنَعُوا ♦ وَفِي الحُرُوبِ جَرِيءُ الصَّدْرِ مِهْصَارُ*[1]

جاءت ألفاظ " مدرار ،مفتار ، مهصار" على صيغة مفعال ، وقد وظفتها لتدل على كثرة انهمار دموعها وبكاءها على صخر ، فشبهت دموعها في الانهمار بالفيض ،وترى أنها رغم بكاءها فهي مقصّرة عن إيفائه حقه ، ثم تنتقل للحديث عن خصاله وترى أنّه قوي وجريء في حروبه ضد أعداءه ، فهو يهصر أعناقهم ويدقها وهذا يدل على شجاعته موظفة في ذلك صوت الراء باعتباره صوت صامت انفجاري مجهور مخرجه اللثة بتكرار ضربات اللسان تكرارا سريعا يتماشى مع سرعة انهمار دموعها كما أنه يمتاز بقوة الوضوح السمعي الذي يتماشى مع قوة صخر وشجاعته في حروبه .

في الأبيات تبكي الخنساء بغزارة على موت صخر كلما جال ذكره في بالها مشيرة إلى ذلك بضمير الغائب المضمر " هو " في قولها (ذكراه ، عليه ، صلب ، وهاب ، جريء) لتدل على مدى حزنها وأساها وحرقة فؤادها لموته .

وتواصل الخنساء حديثها عن صخر وهي في حالة من الحزن في قولها :

يَا عَينُ فِيضِي بِدَمْعٍ مِنكِ مِغْزَارِ ♦ وابْكِي لِصَخْرٍ بِدَمْعٍ مِنكِ مِدْرَارِ[2]

جاءت لفظتي " رئبال و مدرار " على صيغة مفعال للدلالة على كثرة الدموع ، فهي تحث عينها على البكاء الغزير دون توقف حزنا على موت صخر ، وكأنها أرادت أن تقول لعينها ابكي بلا توقف كالآلة ، أي تصبح العين آلة تنتج الدموع ،موظفة في ذلك صوت الراء الذي

(1) المصدر السابق : ص 45 . *ما عمرت : ما عاشت / *المفتار : المقصر ،/ * النحيزة : الطبيعة / *المهصار : الذي يدق الأعناق ويهصرها .

(2) نفسه : 53 .

يتكرر بضربات اللسان تكرارا سريعا يتماشى مع استمرار دموعها ، فظلت مستسلمة للعين التي تذرف الدموع وللأحزان التي فتكت روحها وجسدها ، وهي دلالة على تعبها النفسي والجسدي جراء المصيبة والمأساة التي أصابتها في أقرب شخص لها .

تكمن دلالة هذه الصيغة ـ مفعال ـ لدى الخنساء في كونها متنفسا لها من خلال المد الذي يوجد فيها ، التي مدت من خلاله صوتها وتنفّست بعد كبتٍ وحبسِ أنفاسها لشدة الحزن والألم والفراق ، فلجأت إليها ـ الصيغة ـ لتكشف عن خلجات صدرها وإبراز مكارم أخيها وخصاله.

***

2 - 3 - 3 - المستوى النحوي :

يمكن القول أن النحو العربي هو العمود الفقري الذي يبني عليه الشاعر قصائده الشعرية ، فبه يتم تكوين الكلمات والجمل بتحديد مواضعها ووظيفتها كما يحدّد الخصائص التي تكتسبها الكلمة من ذلك الموضع أو الحركة سواء أكانت خصائص نحوية كالإبتداء مثلا أو أحكام نحوية كالتقديم والتأخير مثلا ومن ذلك نذكر :

2 - 3 - 3 - 1 - الجمل الإسمية :

حيث كثرت وتنوعت الجمل الإسمية في شعرها وجاءت على أنماط مختلفة فمنها ما جاءت متألفة من مبتدأ وخبر مثل : المجد حلته ، الليل معتكر ، كقولها :

المَجْدُ حُلّتهُ، وَالجُودُ عِلّتهُ ♦ والصّدْقُ حَوْزَتهُ إنْ قِرْنهُ هَابَا

وقولها: إنِّي تَذَكّرْتُهُ واللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ ♦ فَفِي فُؤَادِي صَدعٌ غَيْرُ مَشْعُوبِ

ومنها ما جاء الإسم بعد النواسخ مثل : إنّ صخرا لمقدام في قولها :

وإنَّ صَخْرًا لَمِقْدَامٌ إذَا رَكِبُوا ♦ وإنَّ صَخْرًا إذَا جَاعُوا لَعَقَّارُ*[1]

استخدمت الخنساء الناسخ " إنّ" لتؤكد على خصال وفضائل صخر على قومه فقد كان معطاء كثير الذبح للنياق ليطعم الجائعين .

2 - 3 - 3 - 2 - الجمل الفعلية :

أكثرت الخنساء من استعمال الأفعال بكل أنواعها ، بما يوافق تجربتها الشعرية والواقعية المعاشة ، كاستعمالها " للفعل الماضي " في الإخبار عما يتعلق بأخيها مثل : ذكرتك خلى ، سقى ، ذرف ، خطر ، كنت ، طرق ، نزل ...الخ .

كما وظفت " الفعل المضارع " لتكشف عن حزنها وألمها مثل : تبكي ، يسيل ، تروي ـ تغدوا تسري ـ تنادي ، تسقيه ، تعطي ، ترمي ... الخ .

إضافة إلى ذلك وظفت " فعل الأمر " وهي تخاطب عينيها وتطالبها بالبكاء الغزير دلالة على الحزن والأسى الذي عاشته لفراق أخيها مثل : انهمري ، ابكي ، بكّي ، إذري فيضي ، جودا ... الخ .

كما استعملت " فعل الأمر " لتحث أخاها للذهاب إلى الحرب في قولها : إذهب حربيا

(1)المصدر السابق : ص 14 ، 18 ، 46 .* عقار : كثير الذبح للنياق ليطعم الجائعين .

وكذا مخاطبة قومها للأخذ بالثأر في قولها : شدّوا المآزر ، ابكوا فتى البأس .

اعتمدت الخنساء على الجمل الفعلية مع تغيير زمانها ـ الماضي ، المضارع ، الأمر ـ لأنها تعكس حالة التغير وعدم الثبات التي تعيشها بسبب التغيرات الطارئة بفعل الموت ، فهي تعيش لحظات الماضي وذكرياته والحاضر وفجيعته .

***

2 - 3 - 4 - المستوى الدلالي :

اعتمدت الخنساء في شعرها على عدة حقول دلالية عبّرت من خلالها عن المأساة التي حلّت بها ، فكان لكل لفظ معنا دلالي يقابله ويعبر عنه ، ومن تلك الحقول الدلالية نذكر :

2 - 3 - 4 - 1 - حقل الحزن والألم :

وظفت الخنساء من معجم اللغة ما ارتبط بحقل الحزن والألم عبرت من خلاله عن معاناتها النفسية ، نتيجة فراق أخيها وأقرب الناس وأحبهم إليها وما نتج عن ذلك من آلام جرحت فؤادها ومشاعرها وقد وجدنا هذا في ألفاظ منها:(البكاء)استعملتها لتفريغ شحنات الحزن الملتهبة في الأعماق وتخفيف هول المصائب، و(الدمع) لتدل على استمرار بكاءها وحزنها عليه من كثرة حبها له ، (ضيق الصدر) لتدل على شدة ألمها ومعاناتها لموته،(الندب) لشعورها بالفقد والفراغ الذي تركه في داخلها لأن قلبها يفيض حبا وحنانا له ، (الصدر كاظم) يدل على كثرة معاناتها وحزنها الشديد لموته فصدرها كاظم للحرقة الداخلية والنار المشتعلة في داخلها التي لايطفأها أي عزاء ، (المرزئة) وظفتها لتدل على المصيبة التي حلت عليها حتى أصبحت لا تقوى على النوم من كثرة حزنها وألمها على فقده ، (الهموم) لتدل على تذوقها مرارتها وآلامها نتيجة الوقعة الأليمة التي جعلتها لا تقوى على النوم ... الخ.

2 - 3 - 4 - 2 - حقل الطبيعة :

وظفت عدّة ألفاظ دالة على الطبيعة ، فأشركتها في شعرها لتعبر عن حزنها و ألمها الذي تعيشه محاولة بذلك نقل ما أصابها من ذاتها وتشرك الطبيعة فيها ، فالشاعر غالبا ما يهرب إلى الطبيعة ليبث حزنه ومصائبه فيشرك مظاهر الطبيعة في شعره مثل :(الأرض)التي تحمل صورتها الألم والحزن وتختفي منها معالم البهجة والنضارة لذلك وجدتها معادلة لها لفقدانها السرور إثر فقدانها أخيها ،(البدر) استعملته لتدل على جماله وضياءه وبهائه ، (الشمس)حيث جعلت وجهه مضاء كضياء الشمس الساطع الذي يعم الناس بخيره وهي دلالة على كرمه وعطاءه ، (الجبل) لتدل على شموخ أخيها وشهرته مثله و(الصخور) وجدتها معادلا لثقل حزنها وألمها ... الخ .

كما استعملت ألفاظا دالة على الحيوانات لتكمل بها عناصر بطولة صخر في معاركه فهي بمثابة معدّات أساسية للحرب والقتال ، فوصفتها بالرشاقة والسرعة والخفة ، لأن هناك

علاقة وثيقة بين الفارس وفرسه ، فهذه الحيوانات لا يمتطيها إلاّ الشجعان والأبطال مثل أخيها ومن ذلك نذكر : (الخيل) لتدل على السرعة والقوة والضخامة فيها، (الأسد) لتدل على شجاعته في الحروب فهو في ساحة القتال ـ صخر ـ أسد قوي المهابة جريء يتصدى للعدو ويهزمه فيصون بذلك قومه ويحميهم ، (الحمامة) تدل على النواح والبكاء ، فهي تتذكر صخر ويشتد عليها حزنها حينما تذكرها بصوتها المسجوع المرتفع على الشجر ، (الناقة) وظفتها لتدل على قوته ـ صخر ـ وصلابته ...الخ .

إضافة إلى أن المكان هو جزء من الطبيعة ،لذلك نجد الخنساء وظفت ألفاظ وتعابير دالة عليه كونه جزءا لا يتجزأ من حياتها وواقعها الذي عاشته ، فالمكان في شعرها كان له أثر كبير في ذاتها الحزينة والمتألمة فيظهر ذلك وينعكس على واقعها الفني الذي يعبر عن صدق تعبيرها وتجربتها ، ومن تلك الألفاظ نذكر : (صفينة) لها ايحاء نفسي حزين يلهب عواطفها ويسعّر مشاعرها باعتبارها المكان الذي حل فيه خبر نعي أخيها البيت ...الخ .

فالأمكنة التي وردت في شعرها جعلتها مقرونة بقرائن دالة على الزمن الماضي الذي ارتبطت به وتمسكت بذكرياته السعيدة أو المؤلمة فلم تشأ أن تفارقها ، ذاك الزمن الذي عاشت فيه حزنا وألما على فراق أخيها وقرة عينها وسندها في الحياة ، فتوظيفها للزمن كان بغرض الكشف عن المكاره التي واجهتها والمآسي التي حلّت بها ، فجسّدت واقعها المعاش بأساليب فنية مثل قولها : (طلوع الشمس وغروب الشمس) وظفتهما لأنهما يذكرانها بوقت غارات صخر على الأعداء صباحا عند طلوع الشمس وقراه للضيوف عند غروبها وأن همومها وأحزانها تتجدد بطلوع الشمس وغروبها، (الليل) باعث لقلقها وسهرها وتجمع همومها ونشوب نار عاطفتها المحزنة والمؤلمة وقد اعتمدته لأن سواده وطوله يقترن بالحالة النفسية لها والمصيبة التي حلت بها كما وظفته للدلالة على كرم صخر ومروءته في إغاثة قومه ومساعدتهم (الصباح والمساء) دلالة على استمرار حزنها وبكاءها بلا انقطاع متذكرة محاسن أخيها وشمائله صباحا ومساءا ولتدل على همومها وكذا للدلالة على استيعاب الزمن على استمرار حالة الحزن والهموم التي ألقت بها ، (الزمان) لتدل على ما أصابها من حوادثه المفجعة من ضربات قاسية وعنيفة هزت كيانها ولتؤكد على جسامة المصيبة التي أصابتها ،(الدهر)

وظفته لتدل على غلبته فهو الهازل الذي أضعفها وأهزلها بأحداثه والطاعن الذي طعنها طعنا عميقا داميا أسرف في إيذاءها وإيجاعها وجعل نفسها قلقة غير مطمئنة لموت أخيها ...الخ.

2 - 3 - 4 - 3- حقل الأعلام :

فقد تضمن شعرها عدة أسماء لأعلام ، خاصة الذين كان لهم أثر بالغ في قول شعرها كأخيها صخر الذي كان له الدور الأكبر في تفجّج جراحها ، فتحدثت عنه بذكر خصاله ومناقبه مع البكاء عليه ، كما تضمنت أشعارها أيضا أعلاما كأسماء الشخصيات و أفراد من قومها ... الخ ، كما كانت تستبدل اسم " صخر " بأسماء مثل :(صخر) لأنه المحور والأساس الذي فجر شاعريتها فقالت شعرها لترسم مأساتها وهي تذكره باسمه المحبب إليها تأبينا وندبا لتشعر سامعيها بفقده ، (أخي) لما يوحيه من شدة التراحم والتلاحم والصلة التي تجمعهما فهو السند والعماد وفقده خسارة عظيمة لا تعوض لقربه من قلبها، و(الفتى) لتدل على كرمه ومروءته وشجاعته ، أو بكنية مثل (أبا حسان) لترفع من شأنه أو باسم قبيلته (بني سليم) لترفع من مكانته بين الناس لأنها من القبائل العربية المشهورة بفرسانها ...الخ .

2 - 3 - 4 - 4 - حقل الحرب والسلاح :

معلوم أن الحرب قد تعلقت بطبيعة الحياة التي عاشها العربي ، كالغزو ، الثأر لأنه قتل في ساحة الحرب وذلك باستعمال مختلف الأسلحة ، فوظفت الشاعرة ألفاظا دلت على الحرب والسلاح لتصور الدور البطولي لأخيها صخر وهو ينازل الأبطال ويمتطي خيله ويحارب بسلاحه بكل عزيمة وجرأة وقوة ، محاربا أعداءه ومنتصرا عليهم مثل : (الحرب) استعملتها لأنها تتجلى فيها شخصية الأبطال ويظهر فيها حسن بلائهم ومدى تمرسهم لها وتحقيق نصرهم على أعداءهم فدلت من خلالها على بطولة وشجاعة أخيها ، (السيف) استعملته لتدل على بطولته وقوته فهي أداة للردع ووسيلة أخذ بها ثأره وانتقامه من أعدائه ، (الرمح) لتأكد بسالته وشجاعته الفائقة في كثرة إصابة أعدائه وصلابته ... الخ .

2 - 3 - 4 - 5 - حقل الموت :

حيث وظفت ألفاظا دالة على الموت لتعبر عن فقدان أخيها صخر الذي تركها وحيدة والفاجعة والمأساة التي حلّت بها ، وهي ترى أنّ لا حياة لها بعد موته ، فموته تسبب في حزنها و ألمها ، ممّا أدى إلى تفجير قريحتها الشعرية ، فرثته بأجمل الأشعار تصور من خلالها حالة

الفقد والموت التي عاشتها في واقعها مثل (الضريحة والصفائح) ذكرته لتمنحه رمزا إيحائيا طاغيا بالحزن والبكاء على صخر البطل الذي كان وجوده مالئا الدنيا فصار ضريحا وعليه الحجر.

ممّا سبق يمكن القول أن شعر الخنساء في رثاء أخيها صخر ، شعر صادق العواطف والأحاسيس والمشاعر ، يتمثل في البكاء والندب إثر الفجيعة التي أصابتها لفقدانها إياه وهذا ما تجلى في أغلب مطالعها ، فكانت تحث عينها على البكاء وعدم التوقف ، لتبرهن مدى تعلقها به ، ومدى الأثر والفراغ الذي تركه في داخلها ، فكانت ترثيه بمناقبه ومحاسنه وتتذكره عند ذهابه للحرب وعودته ، ومدى شجاعته وكرمه .... وتبقى ساهرة الليل تبكي لفقده ، فوجدت نفسها وحيدة ، فأشركت بذلك الطبيعة لتعبر عن فجيعتها وحزنها ، محاولة بذلك نقل مأساتها موظفة الألفاظ المناسبة التي تتماشى مع الموضوع والصور بمختلف أنواعها ، التي استطاعت من خلالها أن تجسد ذلك الواقع المرير الذي عاشته في قالب موسيقي يحدث طربا في أذن السامع ، فيجعله يشعر بتلك الفجيعة والمصيبة التي أصابتها .

***

خاتمة

خاتمة :

بعد هذا التطواف في عالم الخنساء الشعري ، وجدنا أنها تعدّ من أهم شعراء الجاهلية خاصة في غرض الرثاء الذي أبدعت فيه ، فهي صاحبة ملكة فنية وذائقة شعرية باعتبارها أهم من قال في غرض الرثاء ورصّف معانيه ، فكان بحثنا بعنوان " صور الحزن والألم في رثاء الخنساء لأخيها صخر"، الذي توصّلنا فيه إلى جملة من النتائج أهمها :

- الحزن والألم شعوران فطريان يختلجان صدر الإنسان ، يجسدهما الشاعر المبدع في أعماله الشعرية ويقدمهما في صور ، وينسجهما وفقا للحالة النفسية والظروف التي يعيشها .
- الصورة وسيلة يعتمدها الشاعر لتحقيق أهمية الشعر ، ولا يستطيع الشعر أن يحقق غايته دونها ، فهي لا تتأسس إلاّ بالكلمة التي هي مادتها .
- الصورة تنقسم إلى قسمين : محسوسة يدركها الخاصة والعامة ، وعقلية يدركها الخاصة فقط والشاعر يعبر عن تجربته الشعرية بناءا على وسائل التعبير الفني وتوظيف الخيال حتى يجسد ما يجول في فكره وقريحته من المعاني والأفكار.
- رثائيات الخنساء حافلة بالحزن والألم ، فمعظم شعرها يعبر عن تجربتها المأساوية التي عاشتها إثر فقدان أخيها وأقرب الناس إليها.
- رثاء الخنساء عاطفي بحت لا يشوبه تكلف ، فهي حزينة لا تتعزى ونادبة تهيج البواكي تحث قومها على إدراك الثأر وتثير نخوتهم على ذكر مناقب أخيها .
- عاطفة الخنساء صادقة ناتجة عن مشاعر وتجربة حقيقية حزينة ، جسدتها في قالب فني يملأه الحزن والألم .
- لم تقف الخنساء على الأطلال ولم تبدأ بمقدمة غزلية وإنما استهلت قصائدها بخطاب عينها فإذا هي آنست في عينها جمودا أنّبتها على بخلها ، فكأنها لا تريدها إلا مغرورقة باكية وإذا انتهت من بكاء عينها فرغت للتلهف على أخيها وتعداد شمائله وخصاله ، فتصفه بما هو رمز للسيادة والكرم والفضيلة ، وقد تخلص إلى حث قومها على الأخذ بالثأر على عادة الجاهليين .
- شعر الخنساء خال من القصائد الطوال التي عرفناها عند الشعراء الجاهليين ، فأطول قصيدة لها الرائية « قضى بعينك أم بالعين عوّار » التي لا تتجاوز الستة والثلاثين بيتا وأكثر شعرها مقطوعات وقصائد قصيرة ، كما أنّ شعرها عالج موضوعا واحدا هو " البكاء ".

- أغلب ألفاظ الخنساء تعبر عن بكائها وندبها وحزنها المتميزة بسهولتها ووضوحها ، كما استعملت ألفاظا غريبة تجسيدا لبيئتها وثقافتها البدوية ونفسيتها المتألمة ، وألفاظا إسلامية لتأثرها بقيم الإسلام ومعانيه السامية .

- كانت الخنساء تستقي صورها من البيان (كالتشبيه والإستعارة والكناية) وصورا فنية كالصورة البصرية واللمسية والسمعية ، التي عبّرت من خلالها عن مأساتها ، فتلونت صورها بصور هذه المأساة وجاءت كلها معبرة عن حزنها وحرقة فؤادها وألمها .

- أن لغتها وإن كانت أقرب إلى عبارات الجاهليين فإنها أكثر ألفة وأقل غموضا للجوءها في الغالب إلى المعجم المألوف .

- وظفت الخنساء في شعرها البديع الذي كان وثيق الصلة بحزنها وألمها ، فتأخذ من محسنه المعنوي بدون تكلف ، وقد تلجأ إلى ما يصنع الإيقاع الداخلي الرتيب والمحبذ بما توظفه من تكرار الصيغة الصرفية ، أو تكرار للحروف والمطالع البكائية التي تأثر في المتلقي وتترك أثرا كبيرا في نفسيته .

- نظمت قصائدها على البحور الشعرية التقليدية المختلفة المتمثلة في : الطويل ، البسيط ،الوافر المتقارب ، السريع ، الكامل ، الخفيف ، التي جسدت من خلالها عاطفتها وحسرتها العميقة وبكاءها ، مستخدمة القوافي السهلة اليسيرة ، كما وظفت التصريع والترصيع في مراثيها باعتبارها من الظواهر المرتبطة بموسيقى الشعر ، وهذا دليل على اهتمامها بالجانب الموسيقي والإيقاعي .

- جمع شعرها بين الصيغ الإسمية والفعلية جمعا أسهم في شد بناء النص ، وكان استعمال صيغ المبالغة ولا سيما (فعّال) و (مفعال) أكثر ورودا في شعرها لتضمن لفضائله مزيدا من الإستمرار والتجدد .

- أشركت في شعرها حقولا دلالية مختلفة محاولة بذلك نقل مأساتها بتصوير بطولات أخيها وخصاله وكل ما يتعلق به من خلال إسقاط مشاعرها على هذه الحقول باعتبارها محطة أحزانها وشعورها بالفقدان .

وبهذا نكون قد قدمنا ما تيسر لنا في الإحاطة بموضوع هذا البحث على الرغم من أن نتائجه تبقى ذاتية تختلف بحسب زوايا الرؤيا من باحث لآخر ، فالأدب يبقى مفتوحا بكل جوانبه يعجز الدارس للوصول إلى قمته .

خاتمة

وخير الختام نتمنى أن نكون قد وفقنا في انجاز هذا العمل المتواضع الذي حاولنا من خلاله إيصال فكرة واضحة وشاملة عن مضمونه وجوهره .

***

ملحق

ـ نبذة عن حياة الخنساء :

1 ـ مولدها ونسبها :

هي "تماضر بنت الشريد أي بنت عمرو بن رياح بن يقظة بن عصبة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهتة بن سليم ، عرفت بالخنساء (والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة)"[1] . تنسب إلى "بني سليم من قيس عيلان ، ولدت في الجاهلية ولكن اختلفوا في تحديد سنة ميلادها أكان عام 575م أو 590م"[2] ، "ولقبت بالخنساء تشبيها لها بالبقرة الوحشية لحسن عينيها"[3] .

2ـ حياتها ونشأتها :

"ولدت الخنساء وانتقلت من طفولتها إلى صباها ، فشبابها ولا شيء يثير الإنتباه غير ما كانت تمتاز به من جمال وما كانت تحسه من أبويها و أخويها من عطف ومحبة جعلها تحسّ بنفسها ، لها أب شريف و أخوان سيدان يتباهى بهما الأب ويفاخر العرب"[4] .

3ـ زواجها :

"كانت الخنساء في أول عمرها من أجمل نساء عصرها ، ورآها دريد بن الصمة تهنأ بعيرا لها فأعجبته ، فجاء يخطبها إلى أبيها فقال له أبوها : « مرحبا بك يا أبا قرة ، إنك للكريم لا يطعن في حسبه ، والسّيد لا يرد عن حاجته (...) ولكن هذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة» . ثم دخل إليها وقال لها : « يا خنساء أتاك فارس هوازن ، وسيّد بني جشم دريد بن صمّة يخطبك » فقالت : «يا أبت ، أتراني تاركة بني عمّي وناكحة شيخ بني جشم »"[5] . ثم أنشدت تقول :

أتُكْرِهُنِي ، هُبِلْتَ ، عَلَى دُرَيْدٍ ♦ وَقَدْ أُحْرِمْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ

مَعَاذَ اللهِ يَنْكَحُنِي حَبَرْكَى* ♦ قَصِيرُ الشِّبْرِ مِنْ جُشَمَ بَنِ بَكْرِ

يَرَى مَجْدًا وَمَكْرُمَةً أتَاهَا ♦ إذَا عَشّى الصَّدِيقَ جَرِيمَ* تَمْرِ[6]

(1)عزيزة فوال بابتي : معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، جروس برس ، طرابلس ـ لبنان ، ط1 ، 1998م ، ص134 .

(2) ابن خاتمة الخيري : أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1426 ه ، 2005 م ، ج 8 ، المجلد 8 ، ص 517 .

(3) بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار نظير عبود ،1989م ، ج 1 ، ص 225 .

(4) الخنساء : الديوان ، شرح حمدوطماس ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 ، 1425 ه ـ 2004 م ، ص 6 .

(5)بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 225 .

(6) الخنساء : الديوان ،مصدر سابق ، ص 66 .* الحبركى : القصير الظهر الطويل الرجلين / * الجريم : الذي يجرمه من النخل ، أي يقطعه .

فرفضت الخنساء عرض دريد بن الصمة للزواج ، الذي كان شيخا كبيرا ، وآثرت الزواج من أحد بني قومها ، وهذا يدل على قوّة شخصيتها ، فغضب دريد بن الصمة وقال يهجوها :

وقَاكِ الله يَا ابْنَةَ آل عَمْرٍو ♦ مِنَ الفِتْيَان أمْثَالى ، ونَفْسِي

وتَزْعَمُ أننِي شَـــيْخٌ كَبِيرٌ ♦ وَهَلْ خَبَّرتهَا أنِّي ابْن أمْس ؟ [1]

" ثم تزوجت رواحة بن عبد العزيز السّلمي فولدت له عبد الله ، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السّلمي فولدت له يزيد ومعاوية وعمرا وبنتا اسمها عمرة "[2]

4 ـ مقتل أخويها :

كان للخنساء أخوين معاوية وصخر " فكان معاوية شقيقها وقد قتله هاشم وزيد المرّيّان وكان صخر أخاها لأبيها طعنه أبو ثور الأسدي ، فاحتمل الطعنة عاما ثم توفي متأثرا بها فحزنت عليهما حزنا شديدا وأخذت برثائهما وبالبكاء عليهما حتى عميت . وسبب حزنها الشديد على أخيها صخر خاصة ، أنها كانت قد تزوجت رجلا كريما مسرفا فأتلف ما جلبته من أخيها فعادت إلى أخيها مرتين أخريين فقاسمها في كل مرة منهما ما كان قد بقي معه في كل مرّة "[3].

فكان لموت أخويها أثر كبير على حياتها ؛ اللذين كانا سندا وجزءا من حياتها ، خاصة أخاها صخر الذي كانت تشكوه مشاكلها وهمومها ، فيهبّ إلى مساعدتها ومساندتها ، فيزيل عنها شكاياتها ويمسح عليها آلامها ، فكان موته سببا في بكاءها وفجيعتها فقالت ترثيها وهي محروقة الفؤاد :

هَرِيقِي*مِنْ دُمُوعِكَ أوْ أفِيقِي ♦ وَصبرًا ، إنْ أطَقْتِ ، ولنْ تُطِيقِي

وإنِّي والبُكَا مِنْ بَعْدِ صَخرٍ ♦ كسَالِكَةٍ سِوَى قَصْدِ الطَّـــــرِيق

وَإذْ فِينَا مُعَاوِيةُ بَنُ عَمـــــرٍو ♦ عَلَى أدْمَاءَ كالجمَلِ الفَنيـــــــقِ*

فَبَكِّيهِ فَقَدْ وَلَّى حَـــــــــميدَا ♦ أصِيلَ الرَّأي مَحْمُودَ الـــــصَّدِيق

هُوَ الرُّزْءُ المُبّينُ لا كُبـــــاسٌ ♦ عَظِيمُ الرَّأي يَحْلُمُ بِالنـــــــــَّعِيق[4]

(1) دريد بن الصمة : الديوان ، تح عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 115 ، 116 .

(2) بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 227 .

(3) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية ، دار العلم للملايين ، ط4 ، 1981 م ، ج 1 ، ص 317 .

(4) الخنساء : الديوان ، مصدر سابق ، ص 87 ، 88 . * هريقي : أريقي ، صبي / * الفنيق : الفحل المكرم .

5- اسلامها :

لمّا جاء الإسلام" وفدت الخنساء على الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومها وأنشدته من شعرها و أسلمت بين يديه هي وقومها ، ولم تترك الخنساء الحزن على أخويها ورثائهما على الرغم ممّا خوطبت به في ذلك"[1] . فقد حكي أن عمر بن الخطاب رآها وهي حزينة على أخويها فقال : " لماذا تحزنين عليهما وهما في النار؟ قالت له : ذلك أدعى لحزني عليهما لقد كنت من قبل أبكي لهما من الثأر وأنا اليوم أبكي لهما من النار! كما كان لها أربعة بنين حضّتهم على القتال ونصرة الإسلام فخاضوا معركة القادسية واستشهدوا جميعهم ، فلما جاءها النعي بمصرعهم قالت : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته" [2] .

6 - أدبها ومنزلتها بين الشعراء :

عاشت الخنساء في حياتها مرحلتين : الجاهلية والإسلام ، فهي من الشعراء المخضرمين ففي الجاهلية شهدت وفاة أخويها صخر ومعاوية اللذين قتلا ، فكانا سببا في تفجر قريحتها الشعرية وقول الشعر خاصة في غرض الرثاء ، الذي اصطبغ بكثرة في شعرها وأصبح مرتبطا بإسمها ، حيث أصبحت تلقب بشاعرة الرثاء ، فقد كانت " تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني وكان النابغة تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده الأعشى أبو بصير ، ثم أنشده حسّان بن ثابت ثم الشعراء ، ثم جاءت الخنساء السلمية فأنشدته ، فقال لها النابغة : والله لو لا أنّ أبا بصير أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والإنس "[3].

فقد احتلت الخنساء مكانة مرموقة بين الشعراء خاصة في غرض الرثاء الذي اشتهرت به وكانت من أشعر النساء ، وهذا ما أجمع عليه علماء الشعر " أنه لم تكن قط امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها (...) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه شعر الخنساء و يستشهدها ويقول : هيه يا خنساء ويومئ بيده (...) وقيل لجرير : من أشعر الناس قال : أنا لو لا الخنساء . قيل : بم فضلتك . قال بقولها :

(1) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية ، ص 317 .

(2) نفسه : ص 317 ، 318 .

(3) ابن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ج 1 ، ص 344 .

إنَّ الزَّمَانَ ومَا يفْنَى لَهُ عَجَب ♦ ابْقَى لنَا ذنبا واسْتَوصَل الرَّاس"[1]

لقد كانت الخنساء من أهم شعراء عصرها ، خاصة في رثائها لأخيها صخر ، فقد كان شعرها صادق العواطف ، صادر عن أنفاس حارة ودامية ومتفجعة لموت أخيها وقرة عينها فهي إذا همّت إل رثاء أخيها سابقتها الدموع ، فكانت تخاطب عينها وتحثها على البكاء الغزير وهي لا ترى غير عينها عونا لها على الأسى والحزن الذي حلّ بها والألم الذي أصابها ،فعند قراءة شعرها وتأمله نشعر بشدة حزنها وآلامها عندما تذرف الدموع السخية فرثائها كان صادرا عن عاطفة بحتة لا يشوبها تكلف ، فهي تظل باكية ونادبة على موته مع ذكر مناقبه وخصاله ، لذلك كان أغلب ديوانها يدور في غرض الرثاء خاصة في رثاء أخيها صخر فرثائها " عاطفة صادقة في حزنها أو هو لوعة الأخت على أخيها ، أو هو نغمة الألم تتصاعد مكرورة في بداية بلا نهاية ، وتماشي نبرات العاطفة في اختلاف تموجاتها ، في اندفاعها وثورتها (...) وفي حبها المضطرم وفي أسفها الملتدم(...) وهكذا كان ديوانها صورة مبكرة لصخر ، وكان صخر في ديوانها الصفات العربية كلها مبكرة ، فهو حصن العشيرة وخطيبها وهو عنوان الكرم والجود (...) فكان دموع حياة وقطرات فؤاد ، وكانت الخنساء عنوان العطف ورمز الإخاء والوداد "[2] .

7- وفاتها :

لم يضبط تاريخ وفاة الخنساء ، فمنهم من يقول : "إنها ماتت في نهاية خلافة عمر بين (14ه / 635م - 24ه / 644م) ومنها ما يقول أنها كانت في بداية خلافة عثمان (25ه / 644م - 35ه / 656م) في حين يرى غيرهما أنها من الممكن أن تكون أدركت خلافة معاوية (41ه / 661م - 61 ه / 680م) وماتت في بدايتها ، لكن أغلب الأخبار ترجح أن تكون الوفاة إمّا سنة (25ه - 644م) وإمّا سنة (27ه - 647م)"[3] .

(1) الأب لويس شيخو اليسوعي : أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، المطبعة الكاثوليكية للأدباء اليسوعين ، بيروت ، 1896 م ، ص 23 ، 24 .

(2) حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم - دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1986 م ، ص 291 ، 292 .

(3) ابن خاتمة الخيري : أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ، ص 518 ، 519 .

من كل ماسبق نخلص إلى أنّ الخنساء كانت من أهم شعراء الرثاء الذين رادت أسمائهم في آفاق الشعر العربي القديم ، فقد أبدعت في هذا الغرض (الرثاء) وتركت بصمة وأثرا في نفس كل من يطلع على شعرها ، الذي يشد القارئ بما فيه من ألفاظ وعبارات مؤلمة ومحزنة ووصف دقيق لخبايا وجدانها الكليم دون مبالغة ،ممّا يجعله متأثرا بشعرها ومعجبا بصدق مشاعرها وانفعالاتها .

***

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

ـ القرآن الكريم

ـ المصادر :

1 ـ ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين ، تح محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان ، ط7 ، 1423هـ ـ 2003م .

2 ـ ابن جني : سر صناعة الإعراب ، تح حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1985م ج1 .

3 ـ ابن قتيبة الدينوري :الشعر والشعراء ، تح أحمد محمد شاكر، دار المعارف ، القاهرة،(د،ط) (د،ت) ،ج1 .

4 ـ البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط1 ، 1423هـ 2002 م .

5 ـ البخاري : صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط1 ، 1423هـ 2002م .

6 ـ الجاحظ : الحيوان ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1356هـ ـ 1938م ، ج2 .

7 ـ الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح محمد عبدو ، محمد محمود الشنقيطي راجعه محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (د ، ت) .

8 ـ الخنساء : الديوان ، شرح حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 1425هـ 2004م .

9 ـ السجستاني: سنن أبي داوود ، تح شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قروبلي ، باب في الإستعاذة ، دار الرسالة العالمية ، دمشق ، (د ،ط) ، 1430هـ 2009م .

10 ـ الطبري : كتاب جامع البيان عن تأويل آيات القرآن ، تح بشار عواد معروف وعصام فارس الحرشاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط1 ،1415هـ ـ 1994م .

11 ـ المتنبي: الديوان ،دار بيروت ، بيروت ، (د ، ط)، 1403 هـ ـ 1983م.

12 ـ امرؤ القيس : الديوان، دار المعارف ، ط4 ، 1984 م .

13 ـ دريد بن الصمة : الديوان، تح عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ط) (د ، ت) .

14 ـ قيس بن الخطيم : الديوان ، تح ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، (د ، ط) (د ، ت) .

15 ـ مهلهل بن ربيعة : الديوان ، شرح وتحقيق أنطوان محسن القوّال، دار الجبل ، بيروت ط 1 ، 1425 هـ - 1995 م .

16 ـ مهلهل بن ربيعة : الديوان ، شرح وتحقيق طلاب حرب، الدار العالمية ، (د ، ط) (د ، ت) .

ـ المراجع :

1 ـ ابن الجوزي : الطب الروحاني ،تح أبو هاجر محمد السعيد غلول ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ط1 ،1406هـ - 1986م .

2 ـ ابن خاتمة الخيري : أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل ، بيروت ، ط1 1426هـ - 2005 م ، ج8 .

3 ـ أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة ، البيان ،المعاني ، البديع ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ط3 ، 1416هـ - 1993 م .

4 ـ الأب لويس شيخو اليسوعي : أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، المطبعة الكاثوليكية للأدباء اليسوغيين ، بيروت ، 1986 م .

5ـ الحافظ بن أبي الدنيا : كتاب الهم والحزن ، تح مجدي فتحي السّيد ، دار السلام ، الأزهر ط1 ،1412هـ - 1991م .

6ـ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز ، (د ، ط) (د ، ت) ، ج1 .

7ـ إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ،دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ،ط1 ، 1411هـ - 1991 م .

8ـ بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار نظير عبود،1989 م،ج1 .

9ـ جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1992 م .

قائمة المصادر والمراجع

10- حسن عباس شربتلي : مختصر تفسير ابن كثير، تح محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ،ط7 ، 1402هـ -1981م .

11 ـ حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ الأدب القديم ـ دار الجيل ،بيروت ،ط 1 1986م .

12- سميح عاطف الزين : علم النفس ، معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة ،دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، (د ، ط) ، 1422هـ - 1991 م .

13- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ـ دار المعارف ، القاهرة ، ط1 (د ، ت) .

14- طيفور أحمد بن أبي الطاهر : بلاغات النساء، مطبعة مدرسة عباس باشا الأول ، القاهرة ـ مصر ، (د ، ط) ، 1362 هـ - 1988 م .

15- عادل صادق : الألم النفسي والعضوي ، دار الكتاب الحديث ، ط 2 ، 1984 م .

16- عبد الحميد الراضي : شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، مطبعة العالي ، بغداد (د ،ط) ، 1388هـ - 1976م .

17- عبد الرحمان بن ابراهيم الفوزان : دروس في النظام الصوتي للغة العربية ، (د ، ط) 1428 هـ .

18- عبد القادر القط : الإتجاه الوجداني في الشعر العربي، مكتبة الشباب ، (د ، ط) ، 1988م.

19 ـ عبد الله الأنصاري الهروى : منازل السائرين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ،(د،ط) 1408 هـ - 1988م ، باب الحزن .

20- عبد الله الخاطر : الحزن والإكتئاب على ضوء الكتاب والسنة ، راجعه عبد الرزاق بن محمد الحمد ، المنتدى الإسلامي ، الرياض ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

21- عبد الله درويش : دراسات في العروض والقافية ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ط3 ، 1407هـ - 1987م .

22- عثمان موافي : في نظرية الأدب ـ من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم ـ دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ـ مصر ، (د ، ط) ، 2000 م ، ج 1 .

23- عز الدين اسماعيل : التحليل النفسي للأدب ، دار العودة ، بيروت ، ط 4 ، 1981 م

قائمة المصادر والمراجع

24- عزيزة فوّال بابتي : معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، جرس برس ، طرابلس - لبنان ، ط1 ، 1998 م .

25- علي الجازم ومصطفى أمين : البلاغات الواضحة البيان ، المعاني ، البديع ، دار المعارف (د ، ط) ، 1999 م .

26- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية ، دار العلم للملايين ، ط4 ، 1981م ،ج1 .

27- غازي طليمات وعرفان الأشقر : تاريخ الأدب الجاهلي ، قضاياه ، أغراضه ، فنونه،مكتبة الإيمان ، دمشق ، ط1 ، 1419 هـ - 1992 م .

28- فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية العربية ،دار عمار ، الأردن ، ط2 ، 1428هـ 2007م .

29- لويس ولبرت : الحزن الخبيث ، ترجمة عبلة عودة ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، أبو ظبي ، الإمارات ، ط1 ، 1435هـ - 2014م .

30- مأمون حموش : تفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، وزارة الإعلام دمشق ، ط1 ، 1428هـ - 2007 م ، ج1 .

31- محمد بن حسن بن عثمان : المرشد الوافي في العروض والقوافي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 1425هـ - 2004 م .

32- منصور محمد الغامد : الصوتيات العربية ،المكتبة العصرية صيدا ، بيروت - لبنان (د ، ط) ، 1422هـ - 2000م .

المجلات :

1 - سليمان مودع : صور الرهبة في شعر النابغة الذبياني، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة خيضر ، بسكرة ، 2013م ، العدد32 .

2 - نجاة علوان الكناني : بواعث الألم في شعر السياب ، مجلة دراسات البصرة ، السنة السابعة 2011م ، العدد 12 .

المعاجم :

1- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (د ، ط) 1339 هـ - 1979 م .

قائمة المصادر والمراجع

2ـ ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

3ـ أحمد بن محمد بن علي الفيومي : المصباح المنير، دار المعارف ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

4ـ أحمد مختار :معجم اللغة العربية المعاصرة، علم الكتب ، القاهرة ، ط1،1429هـ ـ 2008 م.

5ـ الرازي : مختار الصحاح، مكتبة لبنان ، بيروت ، (د ، ط) ، 1989م .

6ـ الفراهيدي: معجم العين، تح عبد الحميد مهداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ط1 1424هـ - 2003م ، ج1 .

7ـ الفيروز آبدي : القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط8 ، 1426 هـ ـ 2005م .

8 ـ الكفوي: الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ط2 ، 1419 هـ ـ 1998م .

9ـ مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، الناشر مجمع اللغة العربية ، (د ،ط) ، 1889 م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

ـ مقدمة ص8

ـ الفصل الأول :تحديد المفاهيم

1ـ تعريف الصورة ص12

1- 1 ـ لغة ..... ص 12

1 ـ 2 ـ اصطلاحا ..... ص 13

2 ـ تعريف الحزن ..... ص 15

2- 1 ـ لغة ص15

2- 2 ـ اصطلاحا ص16

3ـ تعريف الألم ..... ص 18

3- 1 ـ لغة ..... ص 18

3- 2 ـ اصطلاحا ..... ص 19

4 ـ أسباب الحزن والألم ..... ص 20

4- 1 ـ أسباب الحزن ..... ص 20

4- 2 ـ أسباب الألم ..... ص 21

5ـ مظاهر الحزن والألم ..... ص 24

5- 1 ـ مظاهر جسمانية ..... ص 24

5- 2 ـ مظاهر نفسانية ..... ص 25

6ـ صور الحزن والألم ..... ص 26

7ـ درجات الحزن والألم ..... ص 28

8ـ موقف الدين من الحزن والألم ..... ص 31

8- 1 ـ الحزن ..... ص 31

8-2 ـ الألم ..... ص 33

9ـ موقف العرف من الحزن والألم ..... ص 35

ـ الفصل الثاني : ظاهرة الحزن والألم في شعر الخنساء

1ـ تجليات حزن وألم الخنساء المظهري والنفسي ..... ص 40

فهرس الموضوعات

2- تجلياته الفنية ..... ص 45
2- 1 - في الألفاظ ..... ص 46
2- 2 - في الصور ..... ص 49
2- 2 - 1 - التشبيه ..... ص 50
2- 2 - 2 - الإستعارة ..... ص 53
2- 2 - 3 - الكناية ..... ص 56
2- 3 - في الموسيقى ..... ص 59
2- 3 - 1 - المستوى الصوتي ..... ص 59
2- 3 - 2 - المستوى الصرفي ..... ص 77
2- 3 - 3 - المستوى النحوي ..... ص 81
2- 3 - 4 - المستوى الدلالي ..... ص 83
- خاتمة ..... ص 88
- ملحق ص92
- قائمة المصادر والمراجع ص98
- فهرس الموضوعات ص104
- ملخص ..... ص 107

ملخص

ملخص :

تناول هذا البحث موضوع " صور الحزن والألم في رثاء الخنساء لأخيها صخر " و تضمن تعريفات للصورة والحزن والألم ، وتطرق للأسباب المؤدية إليهما ، ومظاهر ذلك مع تحديد درجة حزن الإنسان وألمه ، ونظرة المجتمع ومؤسساته لهما .

كماتطرق لدراسة فنية رثاء الخنساء، وما أصاب نفسيتها من أحزان وآلام لشعورها بالتكتل ، وهذا ما انعكس في دراستنا للألفاظ والصور والموسيقى الشعرية التي عبرت عن حالتها النفسية المتألمة .

و ختمنا بحثنا بحوصلة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها .

وفي الأخير أرفقنا هذا البحث بملحق تناول نبذة عن حياة الشاعرة ونسبها وأدبها ومنزلتها بين الشعراء .

الكلمات المفتاحية :الصورة ، الحزن ، الألم ، الرثاء .

Résumé :

Cette recherche traite le sujet intitule: " les images de la tristesse et de la peine dans l′elegie d′Alkhansa pour son frère sakhr". Il expose des différentes définitions de l′image, la tristesse ainsi que la peine .il aborde leurs causes et leurs divers aspects en identifiant les degrés de la tristesse de l′être humain , sa peine aussi que la vue de la société et ses branches en vers ce phénomène.

on présente l′elegie d′Alkhansa ,sa tristesse et sa peine dues a ses sensations très fortes à travers une étude esthétique de ses mots images, et la musique (Rythme) poétique qui expriment son état psychique .

on conclut cette recherche par des résultats attendues et un annexe qui résume la biographie de la poète et sa valeur .

Les mots clés: les images, la tristesse , la peine, elegie.